



الموسوعة السياسية للشباب

الاستشراق





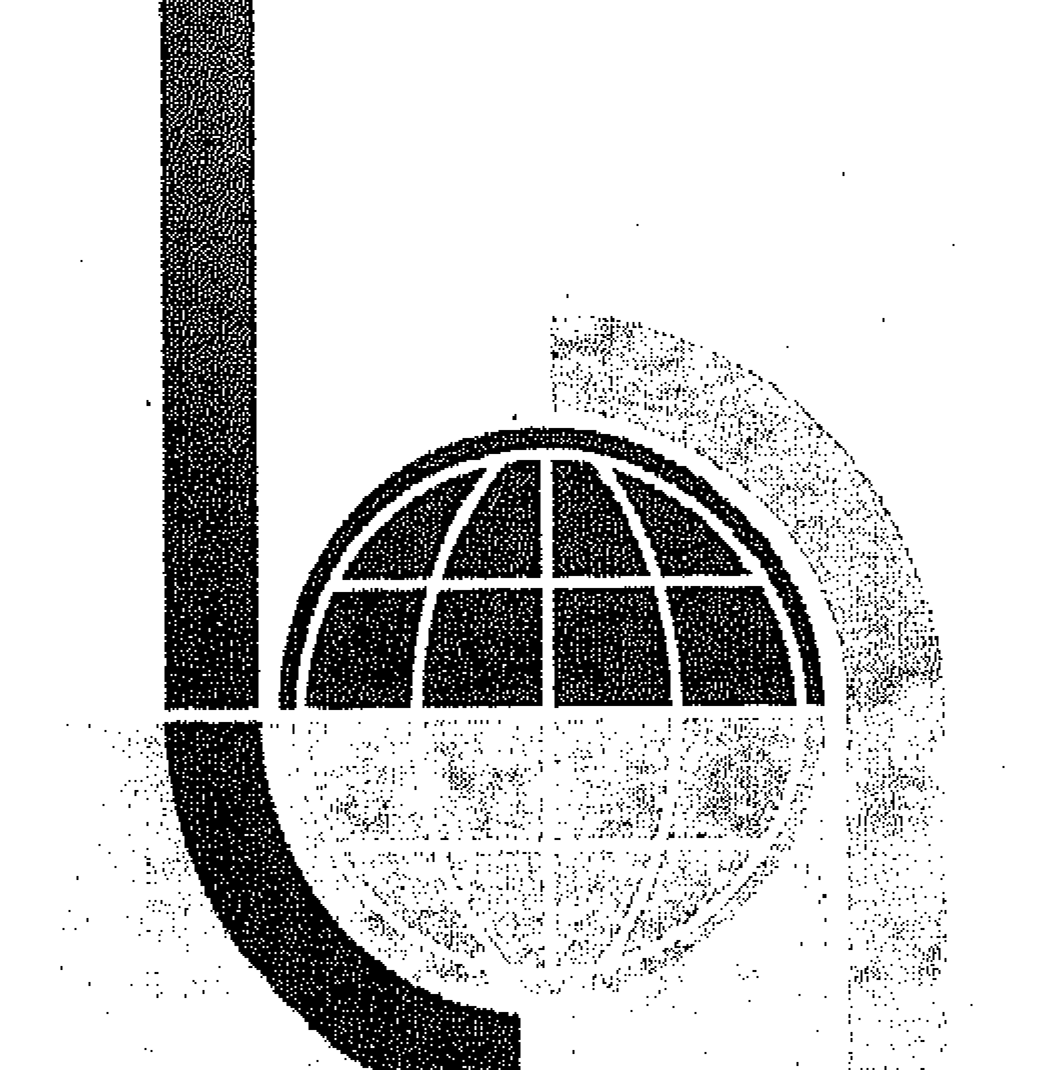
سهام ربيع عبدالله



الاستشراق

سهام ربيع عبدالله

باحثة فى الفكر الإسلامى







العنوان: الاستشراق

تأليف: سهام ربيع عبدالله

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

الترقيم الدولى: 3-3888-14-977 رقم الإيداع: 2007/15022 الطبعة 1: يوليو 2007

الإدارة العامة: 21 شارع أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة تليفون: 33466434 - 33472864 02 فاكس: 33462576 02

المركز الرئيسى: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة 6 أكتوبر تليفون: 38330287 - 38330289 02 فاكس: 38330296 02

مركز التوزيع: 18 شارع كامل صدقى - الفجالة - القاهرة تليفون: 25909827 - 25908895 02 فاكس: 25903395 02

فرع الإسكندرية: 408 طريق الحرية، رشدى تليفون: 5462090 03

فرع المنصورة: 13 شارع المستشفى الدولى التخصصى، متفرع من شارع عبد السلام عارف، مدينة السلام تليفون: 2221866 050

E-mail: publishing@nahdetmisr.com–customerservice@nahdetmisr.com

www.nahdetmisr.com

تقديم

الثابت أن هناك مساحةً كبيرةً من «سوء الفهم» المتبادل بين الإسلام والغرب (أو بين المسلمين والأوروبيين) رغم كل ما يقال عن حوار الثقافات أو الحضارات.

والمحقق أن جانبًا كبيرًا من المسئولية يقع على عاتق المستشرقين الذين ساهموا - عن عمد أو عن غير عمد - فى صياغة التصورات الأوروبية عن الإسلام.. وهى فى أغلبها مجافية للحقيقة.

ولا شك أن ظاهرة الإسلاموفوبيا - أى الخوف المرضى وغير المبرر من الإسلام - هى خير دليل على ذلك.

والمعروف أن الاهتمام بحركة الاستشراق وما يصدر عنها من دراسات حول الإسلام وحضارته بات أساسًا للمعطيات التى يضعها رجال السياسة اليوم فى الاعتبار وهم بصدد اتخاذ قرارات بشأن البلدان الإسلامية.

وقد ازداد الاهتمام بالدوائر الاستشراقية مع تنامى أهمية المتغيرات الثقافية والحضارية فى إطار العلاقات السياسية الدولية فى الآونة الأخيرة، وهى الأسباب ذاتها التى تجعل لكتاب الاستشراق - الذى بين أيدينا - أهمية قصوى خصوصًا أن مؤلفته (أ. سهام ربيع عبد الله) قد سلخت من عمرها عدة سنوات باحثة ومنقبة فى آثار المستشرقين، ولذلك كانت أفضل من يكتب عن قضية الاستشراق، فحاولت أن تصوغ مفهومًا علميًّا له (بعيدًا عن التهوين أو التهويل)، كما بحثت



بموضوعية ونزاهة علمية فى دوافع وأهداف واتجاهات المستشرقين، وإن لم يمنعها ذلك من الإسهاب فى شرح ما أسمته بالوجه الآخر للاستشراق وما ينتظره فى المستقبل.

لذلك أعتقد أن هذا الكتاب سيكون (ضرورة) لكل من يريد أن يفهم (الآخر) خصوصًا أنه ليس بوسعنا أن نضع كل المستشرقين (فى كفة واحدة)، فهناك (من بينهم) من خدم الإسلام بما تركه من كتابات وأبحاث ورؤى فتحت آفاقًا بحثية لا نهاية لها – وهناك من شوّه صورة المسلمين مع سبق الإصرار والترصد.. ولكن يبقى أن المستشرقين القدامى أفضل كثيرًا من مستشرقى اليوم الذين ليسوا أكثر من مجرد صحفيين أوفدتهم صحفهم إلى بعض البلدان الإسلامية – فتصوروا أنهم يفهمون ثقافتها ودينها بمجرد أن تحدثوا بلهجاتها ووضعوا كتبًا تصف مشاهداتهم وقدموها على أنها رؤى استشراقية جديدة.

يبقى أن نذكر أن هذا الكتاب سيكون عونًا لراغبى المعرفة والفهم والتمييز.

د. سعيد اللاوندى



مقــدمــة

على الرغم من أن الظاهرة الاستشراقية قديمة قدم العلاقات بين الشرق والغرب، بشقيها الصراعى والتعاونى، فإنها لا تزال تحظى باهتمام بالغ داخل الأوساط الثقافية والدوائرالسياسية فى العالمين الغربى والإسلامى، خصوصا مع تنامى أهمية المتغير الثقافى والحضارى فى العلاقات الدولية خلال الآونة الأخيرة التى أعقبت انهيار ما كان يسمى بالاتحاد السوفياتى.

ويمكن الادعاء بأن الاستشراق كان، ولا يزال، يشكل جزءًا لايتجزأ من قضية الصراع الحضارى بين العالم الإسلامى والعالم الغربى، بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك ونزعم بأن الاستشراق يمثل الخلفية الفكرية لهذا الصراع. فقد كان للاستشراق – من غير شك – أكبر الأثر فى صياغة التصورات الأوروبية عن الإسلام، وتشكيل مواقف الغرب إزاء العرب والمسلمين على مدى قرون عديدة. ولا يزال غالبية الغربيين حتى اليوم يستقون جل معلوماتهم عن الإسلام والمسلمين من كتابات المختصين فى هذا المجال من الباحثين الغربيين الذين يندرج معظمهم ضمن قائمة المستشرقين، هذا بالإضافة إلى ما يكتبه بعض الأدباء أو الفلاسفة الغربيين أيضًا فى هذا الخصوص، والتى لا تخرج هى الأخرى فى الغالب عن كونها مبنية على كتابات المستشرقين.

على الجانب الآخر، نستطيع القول إن للاستشراق تأثيراته القوية فى الفكر الإسلامى الحديث، إن إيجابًا أو سلبًا، وسواء أردنا أو لم نرد. ومن ثم، فإن مردود الظاهرة الاستشراقية فى العالم العربى الإسلامى يسهم بدرجة، لابأس بها، فى تشكيل الصورة الذهنية لقطاع كبير من المسلمين والعرب عن العالم الغربى ومواقفه حيالهم، الأمر الذى يبدو جليا فى ظهور «الاستغراب» أو الاهتمام بأحوال الغرب ودراستها من قبل الشرق العربى المسلم. من هنا، تبدو أهمية دراسة «الاستشراق» ليس لارتباطه الشديد بأوضاع الإسلام والمسلمين فحسب، وإنما أيضا لاتصاله الوثيق بمستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب فى ظل عالم جديد يفطن إلى أهمية لقاء الثقافات ويدرك ضرورة الحوار بين الحضارات.



أولا : فى مفهوم الاستشراق

ثمة تعريفات عديدة يمكن من خلالها الوقوف على معنى الاستشراق، فمن الناحية اللغوية، يبدو أن كلمة «استشراق» مشتقة من مادة «شرق» يقال شرقت الشمس شرقًا وشروقًا إذ طلعت[١]. أما من الناحية العلمية، فقد جاء فى بعض المصادر اللغوية الحديثة أن الاستشراق تعنى جلب علوم الشرق ولغاته، وأن الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقى. وكلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربى يشتغل بدراسة الشرق كله: أقصاه ووسطه وأدناه، فى لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه. وبعبارة موجزة، يمكن القول إن مفهوم الاستشراق يقصد به ذلك التيار الفكرى الذى يتمثل فى إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامى، والتى تشمل حضاراته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. وقد أسهم هذا التيار فى صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامى بصورة خاصة، معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضارى بينهما[٢].

ولما كان الاستشراق علما ونشاطا بحثيا وفكريا غربيا بالأساس، فنحسب أنه من الجدير بنا أن نبرز التصور الغربى لهذا المفهوم من خلال التعرض لآراء بعض الباحثين والعلماء الغربيين. وتجدر الإشارة فى هذا الخصوص إلى أن العلماء الغربيين قد اختلفوا اختلافًا كبيرًا فى تصورهم لمفهوم الشرق، فالأمريكيون منهم، على سبيل المثال، حين يتكلمون فى دراساتهم عن الشرق والاستشراق والمستشرقين، إنما يعنون بوجه خاص الشرق الأقصى والصين

واليابان والمختصين فى لغاتهم وشعوبها. أما الفرنسيون والبريطانيون، فيعتبرون الشرق هو ذلك الإقليم الجغرافى والتجمع البشرى المجاور لأوروبا، والذى كان ولا يزال يرتبط بالغرب ارتباطًا وثيقا، وكان يؤلف أقرب وأعظم وأغنى وأقدم مستعمرات الغرب، كما كان مصدر حضارته ولغاته أو كان كذلك فى بعض مراحل تاريخه منافسًا وغريمًا ثقافيًا له(٣). وعلى أية حال، فإن هناك اختلافات واسعة بين اهتمامات الأمريكيين والفرنسيين والبريطانيين فيما يتعلق بدراسة الشرق. فلطالما كانت فكرة الاستشراق فى الأصل وحتى الحرب العالمية الثانية مشروعًا ثقافيًا بريطانيًا وفرنسيًا إلى حد كبير، وكان هذا المشروع من السعة والتنوع بحيث كان يمتد ليشمل كل الشرق بما فيه الأراضى المقدسة من ناحية والهند من الناحية الأخرى، وبحيث كان يغطى موضوعات متباينة تتراوح بين البحوث العلمية والفلسفية والدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية إلى أن تمكنت أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية من السيطرة على الشرق وأصبحت تلعب الدور الذى كانت تلعبه هاتان الدولتان من قبل.

ويرى أريدى أن أول استعمال لكلمة «مستشرق» كان فى سنة ١٦٣٠م، حينما أُطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية اليونانية. وفى سنة ١٦٩١م وجدنا انتونى وود يصف صموئيل كلارك بأنه استشراقى نابه، يعنى بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية. ولكن أريدى يختار تعريف قاموس أكسفورد الجديد فيحدد المستشرق بأنه من تبحر فى لغات الشرق وآدابه. والتعريف - كما يذهب أريدى - يحمل فى طياته التاريخية معنى الصراع الغربى والميول الاستعمارية. أما



رودنسون، فيرى أن كلمة استشراق ظهرت فى اللغة الإنجليزية فى عام ١٧٧٩م تقريبا، كما دخلت على معجم الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م وتجلت وقتها فى فكرة نظام خاص مكرس لدراسة الشرق، ولم يكن المتخصصون – بعدُ – من العدد بحيث يمكنهم تشغيل جمعيات أو مجلات متخصصة فى بلد واحد أو شعب واحد من الشرق. أما رودى بارت، فيرى أن الاستشراق يختص بفقه اللغة، خاصة وهو يرى أن كلمة استشراق مشتقة من كلمة شرق وكلمة شرق تعنى مشرق الشمس وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقى(٤).

كذلك كانت هناك مساعٍ من جانب باحثين ومفكرين عرب لسبر أغوار مفهوم الاستشراق، نأخذ منها على سبيل المثال: الدكتور أحمد حسن الزيات، الذى يرى أن الاستشراق يقصد به اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره، وكان يقصد به فى العصور الوسيطة دراسة اللغة العبرية لصلتها بالدين، ودراسة العربية لعلاقاتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورًا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء العلم والمدنية، كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقًا فى غياهب الجهل والتخلف(٥). أما الدكتور حسين الهوارى، فيسعى إلى توضيح معنى علم الاستشراق بأنه مهنة وحرفة كالطب والهندسة والمحاماة، وهو أقرب الشبه إلى مهنة التبشير، وهو يرى أن التاريخ الإسلامى ينقسم إلى قسمين: القسم الأول منه هو الإسلام من حيث هو دين، وعناصره القرآن والحديث وحياة الرسول (ﷺ). والقسم

الثانى منه تاريخ الدول العربية التي نشأت وعاشت فى الإسلام، وهذا القسم قد خدمه المستشرقون؛ حقًا لأنه نوع من المباحث التاريخية الحرة. أما القسم الأول منه فهو بيت القصيد ولا يتصدى له كل المستشرقين، والذين يتصدون له ترى كلامهم مملوءًا بالتشكيك والاستنتاج الخاطئ. ومن جانبه، يرى الدكتور على حسن الخربوطلى أنه من الصعوبة بمكان تعريف المستشرق تعريفًا قاطعًا، ولكن يمكن أن نقول إن المستشرق هو عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية ولابد أن يتوافر فى هذا المستشرق الشروط الواجب توافرها فى العالم المتخصص المتعمق حتى يفيد البشرية والحضارة الإنسانية بإنتاجه العلمي، ولابد أن ينتمي إلى الغرب وليس من الضرورى أن يرحل إلى الشرق ليعيش فيه فيقوم بدراسته فى جامعاته أو وطنه وإن كان رحيله إلى الشرق يجعل دراسته أكثر فائدة وواقعية(٦).

ثانيًا: نشأة وتطور الظاهرة الاستشراقية

اختلفت آراء المستشرقين وتعددت حول البداية الحقيقية للظاهرة الاستشراقية ولم يتفقوا على رأى محدد يمكن أن نعتبره البداية الحقيقية للاستشراق. الأمر الذى يجعل من الصعب تحديد تاريخ معين لتلك البداية، وإن كان بعض الباحثين يشير إلى أن الغرب يؤرخ لبدء الاستشراق الرسمى بصدور قرار مجمع فيينا الكنسى فى عام ١٣١٢م بإنشاء عدد من كراسى اللغة العربية فى عدد من الجامعات الأوروبية(٧). ولكن الإشارة هنا إلى الاستشراق الكنسى تدل على أنه كان هناك استشراق غير رسمى قبل هذا التاريخ، فضلاً عن أن هناك



باحثين أوروبيين لا يعتمدون التاريخ المشار إليه كبداية للاستشراق. ولذلك تتجه المحاولات فى هذا الصدد لا إلى تحديد سنة معينة لبداية الاستشراق، وإنما إلى تحديد فترة زمنية معينة على وجه التقريب يمكن أن تعد بداية للاستشراق. وليس هناك شك فى أن الانتشار السريع للإسلام فى المشرق والمغرب قد لفت بقوة أنظار رجالات اللاهوت النصرانى إلى هذا الدين، ومن هنا بدأ اهتمامهم بالإسلام ودراسته. ومن بين العلماء النصارى الذين أظهروا فى وقت مبكر اهتمامًا بدراسة الإسلام - ليس من أجل اعتناقه، وإنما من أجل حماية إخوانهم النصارى منه - كان العالم النصرانى يوحنا الدمشقى (٦٧٦ - ٧٤٩م). ومن بين مصنفاته فى هذا الصدد لإخوانه فى الدين كتاب «محاورة مع مسلم»، وكتاب «إرشادات النصارى فى جدل المسلمين»[٨].

ولكننا لا نستطيع أن نعد مثل هذه المحاولات بداية للاستشراق. فيوحنا الدمشقى كان رجلاً شرقيًا عاش فى ظل الدولة الأموية وخدم فى القصر الأموى. ولهذا سنصرف النظر عن مثل هذه المحاولات من جانب النصارى الشرقيين، ونقصر حديثنا على العلماء الغربيين. وهنا نجد أيضًا أنه ليس هناك اتفاق على فترة زمنية معينة لبداية الاستشراق. فبعض الباحثين الغربيين يذهب إلى القول بأن البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى، بينما يرى رودى بارت Rudi Paret أن بدايات الدراسات الإسلامية والعربية فى أوروبا تعود إلى القرن الثانى عشر الذى تمت فيه لأول مرة ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، كما ظهر أيضًا فى القرن نفسه أول قاموس لاتينى عربى. وما ذهب إليه بارت فى هذا



الصدد سبق أن عبر عنه كتاب المستشرق جوستاف دوجا المعنون «تاريخ المستشرقين فى أوروبا من القرن الثانى عشر حتى القرن التاسع عشر»، الذى صدر فى باريس نهاية الستينيات من القرن الماضى. وهناك من الباحثين من يجعل بداية الاستشراق قبل ذلك بقرنين، أى فى القرن العاشر الميلادى. ولعل هذا هو السبب الذى أدى بنجيب العقيقى إلى أن يجعل كتابه عن المستشرقين- فى أجزائه الثلاثة - سجلاً للاستشراق على مدى ألف عام، بدءاً من الراهب الفرنسى جرير دى أو رالياك (٩٤٠ - ١٠٠٣م)، الذى قصد الأندلس، وتتلمذ على أساتذتها فى أشبيلية وقرطبة حتى أصبح أوسع علماء عصره فى أوروبا ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، ثم تقلد فيما بعد منصب البابوية فى روما باسم سلفستر الثانى(٩٩٩ - ١٠٠٣)[٩].

وعلى الرغم من أن الاستشراق - بناء على ذلك - تمتد جذوره إلى ما يقرب من ألف عام مضت، فإن مفهوم «مستشرق» Orientalist لم يظهر فى أوروبا إلاّ مع نهاية القرن الثامن عشر. فقد ظهر أولاً فى إنجلترا عام ١٧٧٩م وفى فرنسا عام ١٧٩٩م، وأدرج مفهوم «الاستشراق» Orientalism فى قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م. وهناك من المستشرقين من يرى أن الاستشراق يرجع فى بدايته إلى ظهور الإسلام نفسه حينما ظهرت كتابات غربية وقتها تسعى إلى إلصاق ما كان يفعله المشركون قديما فى الجاهلية بالإسلام والمسلمين فى محاولة لتشكيك الغرب فى الدين الجديد ومحاربته. ولعل ما حدث بين اليهود والمسلمين بعد الهجرة النبوية للمدينة خير

مثال على ذلك، فاليهود عندما لم يستطيعوا مواجهة الزحف الإسلامى وافقوا على أن تعقد بينهم وبين المسلمين معاهدة تعاون تقرر الحرية الدينية للجميع ولقد زاد حقد اليهود على الإسلام بعد ما رأوا هذا الانتشار السريع لهذا الدين، ولذلك عزموا على مقاومته تاركين الصراع العسكرى لقريش ومتخذين الصراع الفكرى طريقاً للمقاومة فبدءوا بالجدل يشككون الناس فى عقائدهم وبالتالى ينصرفون عن الإسلام(١٠).

وهناك نفر آخر من المؤرخين الغربيين يحاول أن يضع تاريخاً بعينه لبداية الاستشراق ويعتبرون عام ٦١٠م هو التاريخ الحقيقى لبداية الاستشراق ، وحجتهم فى ذلك أن الرسول (ﷺ) أرسل كتباً ورسلاً إلى ملك الروم فى هذا العام يدعوه فيها إلى اعتناق الإسلام، وبذلك تعرف الرومان على الإسلام. وثمة رأى آخر يرى أن بداية الاستشراق ترجع إلى القرن السابع الميلادى، وتحديدا فى عام ٧١١م حينما فتح المسلمون بلاد الأندلس وأقاموا فيها حضارة إسلامية عظيمة، حتى هُرِع الغربيون نحو الهجرة إلى ديار الإسلام فى الأندلس لينهلوا من علوم حضارتها الزاهرة، ويتعلموا على يد أساتذتها ويدرسوا فى جامعاتها ومعاهدها، وهو ما يعتبر استشراقاً. فقد اتخذ إقبال الأوروبيين على الاستفادة من الحضارة العربية شكلاً علمياً منظماً مما يجعله استشراقاً على أسس علمية ثابتة، كما اهتمت الدول الأوروبية بإرسال بعثات علمية إلى بلاد الأندلس لدراسة العلوم والفنون والصناعات فى مدارسها الكبرى(١١).

ولقد وفد إلى الأندلس عدد من الرهبان طلبًا للعلم والمعرفة وعلى رأسهم جربرت الذى اعتلى عرش البابوية فى روما عام ٩٩٩-١٠٠٣م تحت اسم سلفستر الثانى، وصار أول مدافع كنسى عن العلوم الدنيوية فى أوروبا، كما قام بإنشاء مدرستين عربيتين، الأولى فى روما والثانية فى راميس وطنه. وكذلك كان ممن وفد إلى الأندلس بطرس المحترم، رئيس دير كحلونى الذى قام هو وجماعة من المترجمين فى إسبانيا بالعمل من أجل الحصول على معرفة علمية عن الدين الإسلامى. وفى هذا السياق، يرى برنارد لويس أن العلماء أخطئوا حينما ظلوا يعتقدون حقبة طويلة من الزمن أن أول اتصال جدىً بين الثقافة الإسلامية وثقافة أوروبا قد حدث نتيجة للحروب الصليبية، ثم يقرر أن حركة الفكر والعلوم العربية وصلت إلى الغرب عن طريق آخر لا عن طريق الحروب المذكورة، وأن أوروبا شربت من مناهل العلوم العربية، التى كانت تتدفق فى الأندلس، إذ أسس العرب فى إسبانيا وصقلية مدينة زاهرة أرقى بكثير من أية مدينة معاصرة لها فى ذلك الوقت فى البلاد الغربية المسيحية(١٢).

وهناك نفر آخر من الباحثين والمؤرخين يقررون بأن بداية الاستشراق ترجع إلى القرن العاشر الميلادى، ومن هؤلاء نجيب العقيقى الذى يرى أن من يظنون أن أوروبا لم تعرف استشراقا حقيقيًا قبل الحملات الصليبية مخطئون؛ لأن الاستشراق عرف من القرن العاشر الميلادى وما كانت الحملات الصليبية إلا نتيجة واحدة لمقدمة واحدة هى الاستشراق، وما الحملات الصليبية إلا نتيجة وقوف العرب على ثقافة الشرق وفلسفته التى تناهض المسيحية. كذلك يعيد

جورجى زيدان أيضا بداية الاستشراق إلى القرن العاشر الميلادى، حينماأراد الإفرنج الاطلاع على ما فى اللغة العربية من علوم طبيعية وفلسفية وطبية فقاموا بترجمة الكثير من الكتب اللاتينية. فريق آخر من الباحثين يرى أن بداية الدراسات الإسلامية والعربية فى أوروبا تعود إلى القرن الثانى عشر الميلادى الذى تمت به لأول مرة ترجمة معانى القرآن إلى اللغة اللاتينية عام ١١٤٣م، كما ظهر أول قاموس لاتينى عربى. ويعتبر القرن الثانى عشر هو عصر الترجمة فى أوروبا حيث تمت ترجمة العديد من الكتب العربية إلى اللاتينية أو اليونانية، كماتوسعت حركة الترجمة فى ذلك العصر لدرجة أن ريموندلل رئيس أساقفة طليطلة أنشأ ديوانًا للترجمة كان الأول من نوعه فى الغرب. وكانت السمة الغالبة على هذه الترجمات هى السمة العلمية، حيث لم يترجم من علوم الدين الإسلامى إلا القليل؛ لأن قادة هذه الحركة كانوا يخشون بترجمتهم هذه نقل صورة صحيحة عن الدين الإسلامى يتأثر بها الأوربيون فيقبلون على اعتناقه(١٣).

ومن الباحثين أيضا من أرجع بداية الاستشراق إلى الحروب الصليبية. (١٠٩٦ - ١٢٧٤م) التى اجتاحت الشرق الإسلامى وانطلقت بدافع دينى ظاهرى، حيث كانت تحمل فى طياتها دوافع أخرى، منها الدافع الاستعمارى والدافع الاقتصادى من أجل احتلال بلاد الشرق الإسلامى ونهب ثرواته وخيراته،كما كان الهدف من هذه الحروب أيضاهو تدمير الإسلام وكسر شوكته، حيث يؤكد الباحث الغربى غاردنر أنه بعدما خاب الصليبيون فى انتزاع القدس من أيدى المسلمين ليقيموا دولة مسيحية فى قلب العالم الإسلامى،

جاءت الحروب الصليبية لا لإنقاذ هذه المدينة، بل لتدمير الإسلام. وبعد أن فشلت الحروب الصليبية فى تحقيق أهدافها من حيث القضاء على الإسلام والمسلمين، تحول الغزو العسكرى إلى غزو فكرى عن طريق الاستشراق، حيث يرى KIRK أحد الكتاب الغربيين أن الحروب الصليبية فتحت أذهان الغربيين على مستوى الحضارة فى الشرق الأوسط، ذلك المستوى الذى كان يفوق بكثير حضارة الغرب، ومع تفتيح أذهان الغربيين اتجه هؤلاء إلى غزو الشرق فكريًا بعد أن عجزوا عن غزوه عسكريًا(١٤).

ويرى الدكتور محمد خليفة أن ثمة ارتباطًا بين الاستشراق منذ بدايته وبين الحروب الصليبية، حيث إن الإسلام انتشر فى بلاد كانت فى الأصل نصرانية فحل هو محل النصرانية، وتمكن المسلمون من فتح الأندلس وجزر البحر المتوسط وتوغل الإسلام فى قلب القارة الأوروبية فلم يترك مكانًا إلا وانتشر فيه شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا، وقد أدى هذا السقوط لمعظم بلاد النصرانية فى يد المسلمين إلى اعتبار الإسلام العدو الأول للغرب، وبدأت استعدادات الغرب لاسترجاع الأراضى النصرانية والهجوم على الإسلام. فى الوقت نفسه، قام الغرب بحملاته الصليبية لاسترداد بيت المقدس وكل الأراضى النصرانية، كما استعد الغرب فكريًا ودينيًا لمواجهة الإسلام بتشجيع الاستشراق وحض المستشرقين على الحصول على المعرفة الإسلامية، وبعد فشل الحروب الصليبية استمر الهجوم الفكرى الدينى إلى مرحلة الاستعمار الحديث الذى جمع بين الهجوم العسكرى والهجوم الفكرى، وهو الوضع الذى استمر إلى التاريخ

المعاصر حتى انتهى الاستعمار الغربى لبلاد المسلمين واستمر الهجوم الدينى والفكرى. لذلك كانت المواجهة الفكرية والدينية أطول عمرًا من المواجهة العسكرية.

ولاشك أن الحروب الصليبية قد تسببت فى انتشار الاستشراق على نطاق واسع جدًا إذ أدى قيام الحروب الصليبية إلى ازدياد روح التعصب الدينى وانعكست هذه الروح على الاستشراق، ولقد بدأ المناهضون للإسلام من الأوروبيين يتعلمون اللغة العربية ليس حبًا فيها ولكن ليتخذوها وسيلة لفهم القرآن وسلاحًا فى مناقشته؛ لأن مناقشة المسلمين عن علم باللغة العربية أقوى وأجدى من المجادلة بغير علم. وهذا ما أكد عليه لويس التاسع ملك فرنسا بعد هزيمة حملته الصليبية التاسعة فى المنصورة وأسره فى دار ابن لقمان عام ٦٤٨هـ-١٢٥٠م، حيث صرح عقب إطلاق سراحه بأنه لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة العسكرية؛ لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس فى سبيل الله لحماية ديار الإسلام وصون الحرمات والأعراض، والمسلمون قادرون دومًا على الانطلاق من عقيدتهم إلى الجهاد ودحر الغزاة، ومن ثم لابد من سبيل آخر لمحاربتهم وهو تحويل التفكير الإسلامى وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكرى، بأن يقوم العلماء الأوروبيون بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذى يغزون من خلاله الفكر الإسلامى، الأمر الذى يشى بأن الاستشراق قد برز واكتسب دعما رسميا غربيا إبان الحروب الصليبية ونتيجة لفشل تلك الحروب من الناحية العسكرية(١٥).

وتجدر الإشارة إلى أن الغرب المسيحى فى أثناء حروبه الصليبية استفاد كثيرًا من الشرق مما دفعه للمزيد من الاهتمام بالشرق والتوغل فيه ومعرفة الكثير عنه وهذا ما عبر عنه إمرتون، أحد الكتاب الغربيين، حينما اعترف بأن حياة أوروبا اغتنت خلال الحروب الصليبية؛ لأنها اقتبست من حياة المسلمين ألوانًا من الفكر والثقافة مما جعل أفق الأوروبيين يتسع بسبب ارتباطهم طيلة سنين ببلاد الشرق ذات الإلهام والأساطير، وكان ذلك دافعًا للكثير من الغربيين ليواصلوا صلتهم بالشرق عن طريق العلم والمعرفة حتى أصبحوا مستشرقين. ويمكن القول إن الاستشراق الذى ارتبطت نشأته بالحروب الصليبية، وبالأدق عقب هزيمة الغرب فى تلك الحروب، كان استشراقًا عدوانيًا، إذ جاء رد فعل لهزيمة عسكرية، وبالتالى كانت نفوس المستشرقين مثقلة بالحقد والكره والتعصب على نحو ما انعكس فى كتاباتهم عن الإسلام، وبالتالى فإن استشراق ما بعد الحروب الصليبية هو من نتاج التعصب الديني. ولم يكن التعصب الدينى هو السبب الوحيد للاهتمام بالدراسات العربية والإسلامية، بل كانت هناك دوافع أخرى، فالغرب فى أثناء الحروب الصليبية شعر بأن الشرق متفوق عليه عسكريًّا وحضاريًّا واقتصاديًّا، ومن ثم، إذا أراد الغرب أن يتحرر من جهله فعليه أن يسير على نفس الدرب الذى سار عليه الشرق وأن يلتزم بالخطوات التى انتهجها(١٦).

على صعيد آخر، يربط بعض المؤرخين بين الاستشراق والتبشير، حيث يرون أن نشأة الاستشراق فى الغرب إنما تعود إلى القرن الرابع عشر الميلادى، وتحديدا مع صدور قرار مجمع فينا

الكنسى عام ١٣٦١م بإنشاء عدد من كراسى اللغة العربية فى بعض الجامعات الأوروبية بهدف إعداد فريق من المبشرين الغربيين المسيحيين للتبشير بالديانة المسيحية فى العالم العربى الإسلامى. فعلى أثر ذلك بدأت حركات جادة من الرهبان لتعلم اللغات الشرقية، وخاصة اللغة العربية وأنشئت العديد من المدارس لتدريس اللغات الشرقية وبعد فترة خرَّجت تلك المدارس عددًا ضخمًا من علماء اللغة العربية، وكان هذا بمثابة تقدم حقيقى أو نقلة نوعية فى حركة الاستشراق، حيث شرع هؤلاء العلماء والأساتذة فى ترجمة بعض الكتب العربية إلى اللاتينية وبدأ الطلاب الغربيون فى تعلم اللغة العربية والدين الإسلامى وتلقى بعض المعارف والعلوم على يد هؤلاء الأساتذة والعلماء. كما تأسس عدد من كراسى اللغة العربية فى بعض البلدان الأوروبية كروما وباريس وأكسفورد بانجلترا، وكان المتبنى لإنشاء كراسى جامعية للدراسات الشرقية - وخاصة العربية والعبرية - كل من روجر بيكون وريموندلل، فلقد كان من رأيهما أن أفضل طريقة لتحويل المسلمين عن دينهم هو تعلم النصارى لغة المسلمين. ومن جانبه، ينضم الدكتور محمد البهى إلى كثير من الباحثين الذين يعتبرون هذا المجمع الكنسى هو البداية الحقيقية لحركة الاستشراق، حيث يرجع تاريخ الاستشراق فى بعض البلدان الأوروبية إلى القرن الثالث عشر الميلادى، بل إنه يذهب إلى الزعم بإمكانية وجود محاولات فردية قبل ذلك، غير أن المصادر التى بين أيدينا لا تلقى الضوء الكافى على الموضوع وإن أشارت إلى بعض المستشرقين كأفراد، وقد أخذ الاستشراق منذ ذلك الحين يتطور عن طريق إنشاء المعاهد والجامعات

الشرقية، والتى أخذت تنتشر فى أوروبا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر وكلها كانت تحمل الطابع التبشيرى(١٧).

وفى القرن السابع عشر، دخل الاستشراق مرحلة متميزة حيث بدأ المستشرقون فى جمع المخطوطات الإسلامية وأنشئت كراسى للغة العربية فى أماكن مختلفة وذلك لتحقيق هدفين: أولهما تجارى، والآخر تنصيرى. ومما يؤكد ذلك قرار إنشاء كرسى اللغة العربية فى جامعة كمبردج عام ١٦٣٦م، والذى جاء فى حيثيات تأسيسه، ونحن ندرك أننا لا نهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الأدب الجيد بتقديم جانب كبير من المعرفة للنور بدلاً من احتباسه فى نطاق هذه اللغة التى نسعى لتعلمها، ولكننا نهدف أيضا إلى خدمة نافعة للملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن فى الظلمات، قاصدين العرب والمسلمين. ويمكن القول بأن الدولة العثمانية منذ القرن السادس عشر قد غدت أقوى دولة على وجه الأرض، ولقد لعب الأتراك دورًا كبيرًا أيضا فى منع تدخل أوروبا فى شئون الدولة الإسلامية، ولكن بسقوط الدولة العثمانية وتوالى الهجمات الاستعمارية عليها اضطرت إلى الأخذ بأساليب الغرب فى تنظيم الجيوش وتوالت البعثات إلى الدول الأوروبية للأخذ بمناهجها العلمية واستقدمت الدولة العثمانية أساتذة للتدريس فى جامعاتها، وهنا استغل الغرب هذه الفرصة لإذلال الشرق، وقام المستشرقون بهذا الدور الطليعى للاستعمار عن طريق نشر القيم الغربية فى المعاهد والجامعات الإسلامية. ولقد شهد الاستشراق فى هذه المرحلة ازدهارًا كبيرًا من جميع النواحى(١٨).



وما إن جاء القرن الثامن عشر وبدأ الغرب يفكر فى استعمار العالم العربى والإسلامى والاستيلاء على ممتلكاته، حتى غدت الحاجة ماسة إلى معرفة الكثير عن الدول التى يراد استعمارها، وهنا كان دور الاستشراق حيث التقت أهداف المبشرين والمستشرقين والساسة ورجال الاستعمار فبدءوا بإصدار المجلات والكتب فى بلدان الغرب والاستيلاء على الكنوز العربية ونقلها إلى بلدانهم. وفى هذه المرحلة ظهر الاستشراق كعلم له أهميته العظمى، فأخذت الحكومات الغربية تنفق الأموال الطائلة على أبحاث المستشرقين، الأمر الذى ساعد على ازدهار الظاهرة الاستشراقية، حيث تأسس للاستشراق معاهد وجمعيات من المستشرقين للتعاون فى الأعمال المتعلقة بالدراسات الشرقية كنشر المخطوطات العربية ووضع الفهارس والمعاجم وغير ذلك. ولقد حاول المستشرقون فى هذه المرحلة أن يغيروا من أساليبهم وحاولوا أن يظهروا بمظهر جديد هو ما زعموه من تحرير الاستشراق من الأغراض التبشيرية والاتجاه به وجهة البحث العلمى، مما أدى إلى نتائج إيجابية لاحقا فيما يخص العلاقة بين الغرب والإسلام. وهذا ما عبر عنه مكسيم رودنسون المستشرق الفرنسى، إذ أكد أن الغرب خلال القرن الثامن عشر كان ينظر إلى الشرق الإسلامى نظرة أخوية متفهمة، مكنت الفكرة القائلة بتساوى المواهب الطبيعية لدى جميع الناس، والتى ساعد على انتشارها تفاؤل يفيض بالحيوية كان هو الدين الحقيقى لذلك العصر، مما مكن الناس من القيام بدراسة نقدية للتهم التى وجهتها العصور السابقة إلى العالم الإسلامى. وفى عصر التنوير الأوروبى أصبح المسلمون فى نظر الغرب يعتبرون أناسًا مثل غيرهم، بل إن كثيرين منهم كانوا يفضلون على الأوروبيين(١٩).



و من خلال تلك الآراء المتعددة التى تحاول التأريخ لبدايات الاستشراق، فإنه يمكن الاستنتاج بأن الظاهرة الاستشراقية تمتد بجذورها إلى ما يقرب من ألف عام، إلا أن مفهوم الاستشراق لم يظهر فى أوروبا إلا فى نهاية القرن الثامن عشر، فقد أدرج مفهوم الاستشراق فى قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م، وظهر مفهوم مستشرق فى إنجلترا عام ١٧٧٩م وفى فرنسا عام ١٧٩٩م.. وفى نهاية القرن الثامن عشر وبالتحديد عام ١٧٩٥م، أنشئت فى باريس مدرسة اللغات الشرقية، وبدأت حركة الاستشراق فى فرنسا تتخذ طابعًا علميًّا على يد سلفستر دى ساس الذى أصبح أمام المستشرقين الأوروبيين فى عصره. وهناك من يعتبر الحملة الفرنسية على مصر وغيرها من بلاد الشرق عام ١٧٩٨ هى البداية الحقيقية للاستشراق، لأن هذه الحملة عندما جاءت إلى مصر كان فى ركابها عدد كبير من المستشرقين الذين قاموا بدراسات مختلفة تم نشرها فى كتاب «وصف مصر».

ويعد القرنان التاسع عشر والعشرون بمثابة عصر الازدهار الحقيقى للحركة الاستشراقية، فعندما تخلص الاستشراق من سيطرة اللاهوت أصبح الاستشراق علمًا قائمًا بنفسه هدفه دراسة اللغات الشرقية وآدابها، وبرزت نزعة علمية تتجه إلى دراسة الآداب والعقائد الشرقية لذاتها مستهدفة المعرفة وحدها. ويرى رودى بارت فى هذا الصدد أن الاستشراق تشكل كعلم فى القرن التاسع عشر، وذلك عندما بدأ الغرب يعمل على التخلص من الصور الذهنية النمطية المشوهة عن الآخر الإسلامى والانصراف عن الآراء المسبقة عن



الإسلام والمسلمين وعن كل لون من ألوان الانعكاس الذاتى، والاعتراف لعالم الشرق بكيانه الخاص الذى تحكمه نظمه الخاصة، وعندما اجتهدوا فى نقل صورة موضوعية له ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وفى الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين فى باريس عام ١٨٧٣م وتتالى عقد المؤتمرات التى تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضاراته، وما تزال تعقد حتى هذه الأيام. وفى نهاية القرن التاسع عشر، أصبحت الدراسات الإسلامية تخصصًا قائمًا بذاته داخل الحركة الاستشراقية العامة، وكان كثير من علماء الإسلاميات والشئون العربية فى ذلك الوقت، مثل نولدكه وجولد تسيهر وفلهاوزن، مشهورين فى الوقت نفسه بوصفهم علماء فى الساميات على وجه العموم أو متخصصين فى الدراسات العبرية أو دراسة الكتاب المقدس[٢٠].

ثالثا: دوافع الاستشراق وأهدافه:

يبدو من خلال استعراض نشأة وتطور الظاهرة الاستشراقية فى الغرب أنها لم تتبلور بدافع معرفى صرف، وإنما تضافرت عوامل وغايات شتى لظهورها وتناميها على هذا النحو الذى وصلت إليه فى وقت مبكر من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب. وعلى الرغم من أن العديد من الباحثين قد ربطوا بين نشأة الاستشراق واندلاع الحملات الصليبية الاستعمارية على العالم العربى الإسلامى، فإنه يمكن القول إنه كان هناك العديد من الدوافع والأهداف التى حركت



نزعات وميول الباحثين الغربيين للتعرف على العرب والمسلمين من خلال دراسة أحوالهم وثقافاتهم ، ويمكن أن نتعرض لأبرز تلك الدوافع والأهداف على النحو التالى:

الدافع الدينى:

يتفق كثير من الباحثين على أن العامل الدينى كان هو المحرك الأساسى فى نشأة الاستشراق ، لاسيما فى مراحله الأولى ، وحجتهم فى ذلك أن هذا الدافع موجود منذ القدم ، حيث إن الدوافع الدينية للاستشراق قد وضحت جلية فى العصور الوسطى التى اتسمت بشيوع أجواء التعصب الدينى الذى كان ناتجًا عن سيطرة الكنيسة على أهالى العصور الوسطى. فالدافع لهذه البدايات الاستشراقية المبكرة كان يتمثل فى ذلك الصراع الذى دار بين العالمين الإسلامى والنصرانى فى الأندلس وصقلية، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته. ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق فى مراحله الأولى هو تاريخ للصراع بين العالم النصرانى الغربى فى القرون الوسطى والشرق الإسلامى على الصعيدين الدينى والأيديولوجى. فقد كان الإسلام كما يقول الباحث الغربى ساوذرن Southern يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصرانى فى أوروبا على المستويات كافة. وباعتباره مشكلة عملية استدعى الأمر اتخاذ إجراءات معينة كالصليبية والدعوة إلى النصرانية والتبادل التجارى ، وباعتباره مشكلة لا هوتية تطلب بإلحاح العديد من الإجابات على العديد من الأسئلة فى هذا الصدد ، وذلك يقتضى معرفة



الحقائق التى لم يكن من السهل معرفتها. وهنا ظهرت مشكلة تاريخية صار من المتعذر حلها، كما ندر إمكانية تناولها دون معرفة أدبية ولغوية يصعب اكتسابها، وصارت المشكلة أكثر تعقيداً بسبب السرية والتعصب والرغبة القوية فى عدم معرفتها خشية الدنس. فقد أدى انتشار الإسلام وتنامى قوته إلى شعور أوروبا بالخطر حتى ظن البعض هناك أن الإسلام قد أصبح خطراً يهدد وجود المسيحية، وكان هذا الشعور بالخطر هو بداية انطلاق الكنيسة الكاثوليكية نحو التصدى لانتشار الإسلام ومحاربته، ومن ثم ظهر الاستشراق كواحد من بين الآليات المستخدمة فى هذا الغرض، حيث شرع مفكرون بدعم من الكنيسة الكاثوليكية فى تشويه صورة الإسلام والمسلمين بغرض وقف انتشار الإسلام فى العالم الغربى بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية. والهدف الدينى للاستشراق كان يسير منذ البداية فى اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معاً جنباً إلى جنب، وتتمثل هذه الاتجاهات فيما يأتى :

- محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه، وإبرازها والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية، والانتقاص من قيمه والحط من قدر نبيّه .. إلخ.
- حماية النصارى من خطره بحجب حقائقه عنهم، وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.
- التبشير وتنصير المسلمين[٢١] وسعيا منهم لتحقيق تلك الغايات اعتمد المستشرقون على الوسائل التالية:

- التشكيك فى صحة رسالة النبى (ﷺ)، والزعم بأن الحديث النبوى إنما هو من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، والهدف الخبيث من وراء ذلك هو محاربة السنة بهدف إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام ولحياة الرسول (ﷺ)، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته.
- التشكيك فى صحة القرآن والطعن فيه حتى ينصرف المسلمون عن الالتقاء على هدف واحد يجمعهم ويكون مصدر قوتهم وتنأى بهم اللهجات القومية عن الوحى باعتباره المصدر الأساسى لهذا الدين.
- التقليل من قيمة الفقه الإسلامى واعتباره مستمدا من الفقه الرومانى.
- النيل من اللغة العربية واستبعاد قدرتها على مسايرة ركب التطور وتكريس دراسة اللهجات لتحل محل العربية الفصحى.
- إرجاع الإسلام إلى مصادر يهودية ونصرانية بدلا من إرجاع التشابه بين الإسلام وهاتين الديانتين إلى وحدة المصدر.
- العمل على تنصير المسلمين.
- الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والأخبار الموضوعة فى سبيل تدعيم آرائهم وبناء نظرياتهم[٢٢].

وبدورها، تلاقت عوامل عديدة لتوفير الظروف الملائمة لتحقيق تلك الأغراض، حيث تحالف التعصب الدينى الأعمى من قبل الكنيسة الكاثوليكية مع الجهل السائد والمطبق على العامة فى أوروبا إبان العصور الوسطى من أجل اضطلاع الاستشراق بهذه المهام. ولقد



ظهرت فى العصور الوسطى كتابات عديدة تناولت الإسلام ونبيه والمسلمين بالشتائم والاتهامات الباطلة، وكان من أشهر المستشرقين المتعصبين فى العصور الوسطى الذين أساءوا إلى الإسلام والرسول (ﷺ) جيلبرت أوف نوجنت، الذى كتب عن حياة الرسول فكانت كل كتاباته مجموعة من الأساطير الخرافية التى ابتدعها أو نقلها عن غيره من المغرضين، والتى كانت أبعد ما تكون عن الواقع. وكذلك كان من المستشرقين المتعصبين هيلد برت أسقف ليموند ورئيس أساقفة توردت عام ١١٣٣، والذى اختلق تاريخًا للرسول (ﷺ)، لم يكن سوى مجموعة من الأساطير والخرافات. وكذلك المستشرق المتعصب ريموند، أسقف توليدو، الذى ترجم بعض المؤلفات العربية إلى لغات أوربية. وعلى الرغم من أن كتابات هؤلاء الباحثين والأساقفة عن الإسلام ورسوله والمسلمين قد اتسمت بالمبالغة فى التشويه ومجافاة الحقائق، حيث إنها لم تكن تتبع منهجًا علميًا أو أصولا بحثية، فهى لم تكن سوى مجموعة خرافات وافتراءات هى فى الحقيقة انعكاس لأحقادهم على الإسلام والمسلمين، إلا أنها ظلت تمثل مرجعية تاريخية ودينية ومنطلقا فكريا لكثير من المستشرقين الذين أتوا بعدهم وحذوا حذوهم فى الإساءة للإسلام والمسلمين وساروا على دربهم فى اختلاق الأساطير عن العرب والمسلمين، كما ظلت تلك الكتابات أيضا تشكل مصدرا لمعرفة غالبية العامة فى الغرب بالإسلام والمسلمين والعرب، ومن ثم تبلورت فى مخيلاتهم الصورة المشوهة للعرب والمسلمين على النحو الذى باعد بين الإسلام والغرب لقرون طويلة(٢٣).

ولقد ظهر الاستشراق أول ما ظهر بين الرهبان فى العصور الوسطى واستمر بعض المبشرين يعملون عيوناً لبلادهم، التى تعمل بشتى الطرق لإثارة الفتن والاضطرابات من أجل تمكين الدول الأوروبية من السيطرة على العالم العربى والإسلامى. و كان من أشهر الرهبان الذين عملوا فى مجال الاستشراق، جربردى أورلياك (٩٣٨- ١٠٠٣)، الذى كان فى أول أمره من الرهبان البندكتيين، ثم قصد الأندلس وأخذ عن أساتذتها حتى أصبح من أبرز علماء عصره فى الدراسات العربية، ثم أصبح بابا فرنسيا باسم سلفستر الثانى، وكذلك الراهب إدوارد أوف باث (١٠٧٠- ١١٣٥) الذى درس فى صقلية والأندلس وآثر مذهب العرب فى العلم على مذهب الفرنجة وترجم كثيرًا من الكتب العربية. كذلك الراهب بطرس المبجل، الذى عمل على ترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية بغية فهمه أولا ثم الرد عليه ثانيا، ولقد اعتبر بطرس المبجل الإسلام مجرد هرطقة مسيحية هى آخر الهرطقات وأشدها ضررًا، وارتأى أنه من الضرورى مواجهة تلك الهرطقة حتى لا تضر بالدين المسيحى، وكان يرى أن الإسلام لا يشكل خطرًا عسكريًا مباشرًا، ولكنه يشكل خطورة فكرية لا يستهان بها؛ لذا طالب بضرورة التعرف عليه أولاً ثم مكافحته ثانيا. وتجدر الإشارة فى هذا الصدد إلى أن نشاط الرهبان قد بدأ أول ما بدأ فى مجال الترجمة، وهذا واضح عندما قرر مجمع فيينا الكنسى ترجمة الكتابات النصرانية حتى يقرأها المسلمون، وبالتالى يتحولون إلى النصرانية ليستطيعوا قراءة ما يكتب أو ما كتب ضد النصرانية. ويجب ألا ننسى أن الإسلام انتشر فى بلاد كانت فى الأصل مسيحية ففتحها ونشر عقائده فيها وأبطل بعض العقائد المسيحية



مثل التثليث والصلب والفداء وغيرها من العقائد التى هى صلب الديانة المسيحية، ومن هنا كان رد الفعل الغربى العدوانى، حيث ظهرت كتب تناولت الإسلام بالشتائم والاتهامات منذ القرن الحادى عشر ومن هؤلاء ريموندلل، الذى قام بحملة نشطة ضد الإسلام ولام المسيحيين على مهادنة الإسلام ووضع خطة لمحاربته.

ويمكن الزعم بأن دخول هذا الكم الهائل من الرهبان إلى ساحة الاستشراق لهو خير دليل على وجود الدافع الدينى وتمكنه من عقول هؤلاء المستشرقين، وتحريكه للظاهرة الاستشراقية فى أوروبا إبان العصور الوسطى. يضاف إلى ما سبق،أن الاستشراق قد نشأ منذ عصر الحروب الصليبية وكانت الكنيسة هى الراعى الرسمى لهذه الحروب، وهذه الحروب - وإن فشلت عسكرياً - إلا أنها لم تفشل فكريا. فلقد أتاحت الفرص للغرب لكى يتعرف على الشرق الإسلامى ويتعرف على حضارته المزدهرة، وما فيها من علم وثقافة ومدنية، وهو الأمر الذى دفع الكنيسة فى أوروبا إلى اتخاذ عدة خطوات احترازية لمواجهة مشاعر الاندهاش والخوف أو الإعجاب بالإسلام للحيلولة دون تغلغل الإسلام فى نفوس المواطنين الغربيين؛ لذا عملت جاهدة على تشويه صورته. وهذا ما أشار إليه مكسيم رودنسون الذى أكد أن هذه المشاعر نحو الإسلام قد أدت إلى نتيجتين هامتين: أولاهما - السعى نحو وحدة أيديولوجية أوروبية متكاملة فى مواجهة فكر الإسلام وحضارته، وثانيتهما: أن الكنيسة الأوروبية قد عملت من أجل تثبيت الإيمان المسيحى على تشويه المنتجات الحضارية للإسلام وما يصل منه إلى مسامع الغربيين(٢٤).

كذلك، عمد المستشرقون من خلال كتاباتهم عن الإسلام إلى محاولة تشكيك المسلمين فيه وإلصاق التهم به، إذ ادعوا أن الإسلام هو المسئول عما أصاب العالم الإسلامى فى العصور الحديثة من تأخر حضارى، وأن الإسلام دين جامد لا يصلح للتطور أو التجديد أو مواكبة الحداثة والنهضة العلمية. وقد سلك المستشرقون وسائل كثيرة لتحقيق هذا الهدف، وكان من أخطر هذه الوسائل التركيز على القضايا الخلافية فى الفكر الإسلامى وإحياء الآراء الشاذة للفرق المغالية ليشغل المسلمون أنفسهم بها عن التفكير فى عظائم الأمور، فعمدوا إلى إثارة الخلافات المذهبية والصوفية بقصد زعزعة عقيدة المسلمين والقضاء على الرابطة الإسلامية وضرب وحدة المسلمين. وهذا ما ظهر بوضوح فى آراء المفكر الفرنسى هانوتو الذى أكد على ضرورة العمل على تفكيك الرابطة التى تجمع بين المسلمين شرقًا وغربًا على سطح المعمورة فتجعل منهم أمة واحدة وهى رابطة الدين، كما دعا الغرب المسيحى إلى العمل أيضا على إضعاف هذه الروح السائدة التى تحرك المسلمين من سباتهم، حيث إن رابطة الإخاء الجامعة بين أفراد المسلمين كفيلة بأن تجعل المسلم فى شرق الأرض يهب لنصرة المسلم فى غربها، فهى عامل مؤرق لفرنسا فى المستعمرات التى تخضع لها.

ويؤكد نجيب العقيقى فى هذا الصدد على أن هدف الاستشراق منذ نشأته كان هو خدمة الكنيسة والاستعمار، حيث تعاونت الكنيسة مع ملوك أوروبا على شد أزر المستشرقين والتمكين لهم فى مهمتهم التى كان نصفها الأول سياسيًا ونصفها الآخر تبشيريًا تعصبيًا. ولسنا فى حاجة إلى التذكير بأن الاستشراق قام على أكتاف رجال الدين



والرهبان، وذكرنا أيضا أن بطرس المبجل كان من أهم الرهبان الذين قاموا بترجمة القرآن، وكان هدفه فى ذلك تبشيريًا خالصًا، وكان من أوائل الذين استخدموا العلم لرد المسلمين عن دينهم، ولقد كان تعلم اللغة العربية أمرًا ضروريًا من أجل التبشير، ولقد كان روجر بيكون (١٢١٤م- ١٢٩٤م) من الدعاة المتحمسين الذين طالبوا بضرورة تعلم لغات المسلمين لفرض التنصير، والذى كان يرى أن التنصير هو الطريقة الوحيدة التى يمكن بها توسيع رقعة العالم المسيحى. وقد شارك بيكون فى أفكاره ريمون دلل الذى أنشأ كراسى لتدريس اللغة العربية فى أماكن مختلفة، وكان الهدف منها هو التنصير وإقناع المسلمين من خلال لغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحى[٢٥].

من جهة أخرى، يرى الدكتورعلى حسن الخربوطلى أن الدافع الدينى للاستشراق قد تضاءل قليلاً بعد فترة الحروب الصليبية، لاسيما أن هذه الحروب كان لها أثر كبير فى تغيير صورة الإسلام عند البعض، حتى إن بعض الغربيين أقبل على اعتناق الإسلام، أما البعض الآخر - وإن لم يعتنق هذا الدين - فإنه أعجب بالطبائع والأخلاق الإسلامية، فقد كان المسلمون فى تعاملاتهم مع الصليبيين أيام المهادنات يقدمون نموذجا رائعا للتسامح وحسن المعاملة مع أن الصليبيين كانوا على النقيض من ذلك فى معظم الأحيان. هذا إلى جانب النزاع فى الغرب المسيحى بين السلطتين الدينية والزمنية، أى بين الكنيسة والدولة، فقد أدى هذا النزاع إلى صراع دام انتهى إلى الفصل التام بينهما، وإلى إقامة سلطة الدولة على أنقاض سلطان الكنيسة، وكان لهذا التنازع أثره فى الفكر الغربى برمته حتى يومنا هذا. من هنا، يخلص الخربوطلى إلى



أن التقارب الجزئى والمؤقت بين المسلمين والأوروبيين بعد الحروب الصليبية على نحو أزال بعض الصور المشوهة للمسلمين فى الذهن الغربى، فضلا عن الإصلاح الدينى الذى ألم بالمسيحية الغربية فى القرن السادس عشر، كل ذلك قد أفضى إلى انكماش الدوافع الدينية للاستشراق فى العصر الحديث وإن لم تنعدم كلية(٢٦).

على النقيض من ذلك، يرى تيار آخر من الباحثين العرب والغربيين أن تاريخ الاستشراق يؤكد – بما لا يدع مجالاً للشك – أن الهدف الدينى كان، ولايزال، وراء نشأة الاستشراق ودعم الدراسات الإسلامية والعربية فى أوروبا، وقد صاحب الاستشراق طوال مراحل تاريخه، ولم يستطع أن يتخلص منه بصفة نهائية. وحتى نهاية القرن التاسع عشر لم يكن الاستشراق قد حرر نفسه من إسار الخلفية الدينية التى اشتق منها أصلاً إلا بدرجة ضئيلة. وإذا كان الهدف الدينى لم يعد ظاهرًا الآن فى الكثير من الكتابات الاستشراقية فليس معنى ذلك أنه قد اختفى تمامًا. إنه لا يزال يعمل من وراء ستار بوعى أو بغير وعى. حيث يؤكد برنادر لويس على سبيل المثال، أن آثار التعصب الدينى الغربى حيال الإسلام والمسلمين لا تزال ظاهرة فى مؤلفات عدد من العلماء والباحثين الغربيين المعاصرين ومستترة فى الغالب وراء الحواشى المرصوصة فى الأبحاث العلمية للمستشرقين. فمن الصعب على معظم المستشرقين النصارى - المشتغلين بدراسة الإسلام، وأكثرهم متدينون – أن ينسوا أنهم يدرسون دينًا ينكر عقائد أساسية فى النصرانية ويهاجمها ويفندها مثل عقيدة التثليث وعقيدة الصلب والفداء، كما أنه من الصعب عليهم أيضًا

أن ينسوا أن الدين الإسلامى قد قضى على النصرانية فى كثير من بلاد الشرق وحل محلها(٢٧).

تبقى الإشارة فى هذا الخصوص إلى أنه إذا كانت المسيحية قد استغلت الاستشراق لأغراض دينية تبشيرية بحتة، فإن اليهود أيضا كان لهم دور كبير فى الاستفادة من هذا الدافع الدينى للاستشراق، فلقد استخدمت اليهودية الاستشراق من أجل الدفاع عن اليهودية ضد الإسلام ومن أجل تحقيق هدف قومى هو إثبات حق اليهود المزعوم فى فلسطين، وقد صدرت آلاف البحوث والكتابات التى حاولت إثبات الحقوق التاريخية لليهود فى فلسطين وتأكيد الوجود الدينى فيها منذ القدم وحتى الآن(٢٨).

- الدافع الاستعمارى:

حرص الغرب على العودة إلى بلاد الشرق الإسلامى بعد هزيمته فى الحروب الصليبية، حيث ظل استرداد بيت المقدس من أيدى المسلمين حلمًا لا يفارق أذهان قادته، ولأجل تحقيق هذا الحلم كان لابد من وضع خطة محكمة تضمن لهم السيطرة على بلاد الشرق الإسلامى، الأمر الذى استوجب معرفة كل ما يمكن معرفته من أحوال تلك البلدان المستهدفة بما يشمل عاداتها، آدابها، عقائدها، تاريخها. ومن هنا، جاء التلاقى بين الاستعمار والاستشراق. فقد ساعد الاستشراق الاستعمار فى جميع مراحله ابتداء بالمرحلة الأولى فى تقديم المعلومات عن البلدان المستعمرة، وانتهاء بوضع السياسات والخطط التى يجب أن يسيروا عليها بعد مرحلة السيطرة الفعلية،



وبالفعل نجح الاستشراق فى القيام بمهمته على أكمل وجه فلم يكد ينتهى القرن التاسع عشر إلا وقد سقطت معظم البلاد العربية والإسلامية تحت السيطرة الاستعمارية للغرب. وذلك بفضل مساعدة المستشرقين، الذين اعتبروا أنفسهم من الأبطال الفاتحين حسبما يؤكد الدكتور محمد خليفة الذى يرى أنهم لم يشعروا بأدنى حرج من علاقتهم بالقوى السياسية والاستعمارية فى بلادهم وفى الغرب عموما، فالمستشرق مواطن ينتمى إلى بلده ويشعر بأنه يؤدى واجبه، بصرف النظر عن كون معرفته أو علمه مستغلاً من جانب القوى السياسية والاستعمارية أم لا، ولم يشعر المستشرق بحرج من هذه العلاقة خاصة فى الفترات الاستعمارية الطويلة مثل حقبة الحروب الصليبية التى زادت عن قرنين وفترة الاستعمار الحديث التى غطت ثلاثة قرون تقريباً. ومن هنا يمكن القول إن الدوافع الاستعمارية والسياسية ظهرت واضحة جلية واتسع مداها باتساع رقعة الاستعمار الغربى للعالم الإسلامى فى القرنين التاسع عشر والعشرين ولقد اضطرت الدول الاستعمارية أن تعلم موظفيها لغات وآداب وعقائد تلك البلاد المستعمرة كى يسوسوها ويحكموها[٢٩].

ولقد استطاع الاستعمار أن يجند طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه وأهدافه، ومن هنا كان الترابط القوى بين الاستشراق والاستعمار، وقد وافق الكثير من المستشرقين على أن يقوموا بهذا الدور، فأخذوا يصورون الشرق فى صورة الشعوب المتخلفة، ونجحت إلى حد كبير فى أن تولد لدى الشرقيين القناعة اللازمة بتقدم الغرب الأوروبى وتفوقه الحضارى عبر العصور. ولقد كان لهذه الدراسات

الاستشراقية دور كبير في خدمة الاستعمار، إذ عمل الاستشراق على إحياء النزعات العصبية وإثارة الخلافات المذهبية من أجل إثارة الفتن بين المسلمين وركز لأجل ذلك على الجوانب القائمة فى تاريخ الأمة الإسلامية وأولى اهتمامًا خاصًا لتاريخ الحركات الباطنية فى الإسلام بغرض معاونة الاستعمار على تطبيق سياسة فرق تسد بين المسلمين.

وكان المستشرقون بمثابة العيون للاستعمار فى البلاد الإسلامية، وتعاون الاستشراق مع الاستعمار وعمل على زعزعة نفوس المسلمين وهزيمتهم نفسيًا ليضمن خضوعهم خضوعًا تامًا له. فدور الاستشراق - كما يراه د. إدوارد سعيد - تمثل فى أن خبرة المستشرق الخاصة وضعت فى خدمة الاستعمار؛ لأنه فى اللحظة الحرجة حين يجب على المستشرق أن يقرر بين ولائه وميوله للشرق، وبين ولائه للمستعمر الغربى فإنه دائما يختار الأخير على الأول، ومنذ عصر نابليون إلى الآن لم يتغير الأمر. وما احتلال نابليون لمصر عام ١٧٩٨م سوى المثال الأفضل على ذلك، فقد استعان نابليون ببعض المستشرقين فى رسم خطته لاحتلال مصر، كما استرشد بكتاب «المخطط السرى لغزو مصر» للمستشرق الألمانى ليبنتز (١٦٩٦- ١٧١٦م) الذى شرح فيه حال مصر الاقتصادى والعسكرى والاجتماعى. واستعان أيضا بكتابين للرحالة الفرنسى دى فولنى (١٧٥٧- ١٨٢٠م) الأول، بعنوان «رحلة إلى مصر وسوريا»، والثانى بعنوان «نظرات فى الحرب الراهنة للأتراك ١٧٨٨م». ولقد طبق نابليون بصرامة كل ما ورد فى كتاب دى فولنى وتأثر بالأفكار الواردة فى الكتاب المعنون «رحلة إلى مصر

وسوريا». حيث عرض فولنى فى كتابه لثلاثة حواجز ارتأى أنها تقف فى وجه السيطرة الفرنسية على الشرق، ومن ثم يتعين على أية قوة فرنسية تريد التخلص منها أن تحارب ثلاث حروب على ثلاث جبهات: الأولى، ضد إنجلترا. والثانية، ضد الباب العالى العثمانى. والثالثة - وهى أكثرها صعوبة - ضد الإسلام والمسلمين(٣٠).

فضلا عن ذلك، هناك نماذج عديدة تبين لنا بوضوح مدى خدمة المستشرقين لأهداف بلادهم الاستعمارية، ومنها على سبيل المثال: المستشرق الهولندى كريستيان سنوك هورجرونيه (١٨٥٧- ١٩٣٦)، الذى أقام بين المسلمين فى مكة ١٨٨٥م نصف عام متخفيًا وكان هذا استعدادًا للعمل فى خدمة الاستعمار، وقد شغل مناصب قيادية فى السلطة الاستعمارية الهولندية الهندية، ولعب هذا المستشرق دورًا هامًا فى تشكيل السياسة الثقافية والاستعمارية فى المستعمرات الهولندية فى الهند الشرقية. وهناك أيضا المستشرق الألمانى كارل بيكر، مؤسس مجلة «الإسلام» الألمانية عام ١٩١٠، وقد قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية الألمانية فى إفريقيا، حيث حصل الرايخ الألمانى عام ١٨٨٥ على مستعمرات فى إفريقيا تضم مناطق بعض سكانها من المسلمين، وظلت تلك المناطق تحت السيادة الألمانية حتى عام ١٩١٨م، وقد تأسس معهد اللغات الشرقية فى برلين عام ١٨٨٧م، وهو معهد كانت مهمته الحصول على معلومات عن البلدان العربية والإسلامية وبلدان الشرق الأقصى. وهناك أيضا نموذج المستشرق البريطانى إدوارد هنرى بالمر، الذى ولد عام ١٨٤٠م وتوفى عام ١٨٨٢م، وكان له دور كبير فى خدمة المستعمرات البريطانية بما يقدمه من

معلومات لوزارته، فلقد قام هذا المستشرق بزيارة صحراء سيناء ورسم طرق سيناء وقام بتسجيل الأماكن التى زارها ووصف عادات البدو القاطنين بها. ومن جانبها، استفادت الحكومة البريطانية كثيرا من تلك المعلومات ووظفتها لاحتلال مصر بعد ذلك فى العام ١٨٨٢. ولقد وصل به الحد إلى التعامل المباشر مع الضباط الإنجليز فى البلدان العربية إلى أن قُتِل شر قتلة على أيدى عدد من البدو فى سيناء خلال مهام تجسسية كان يقوم بها للتمهيد لاحتلال بريطانيا لمصر(٣١).

وقد كانت الحكومة البريطانية من أجل تحقيق أهدافها الاستعمارية ترسم سياستها في مستعمراتها فى الشرق بعد التنسيق والتشاور مع فريق من المستشرقين الذين يقدمون لها الدراسات المطلوبة. وعن ذلك يؤكد الدكتور إبراهيم اللبان أن رجال السياسة فى الغرب كانوا على صلة وثيقة بأساتذة كليات اللغات الشرقية فى أوروبا، وإلى آرائهم كانوا يرجعون قبل أن يتخذوا القرارات الهامة فى الشئون السياسية الخاصة بالأمم العربية والإسلامية، وقد سمع أحد كبار المستشرقين يتحدث أمامه ذات مرة فيذكر أن مستر أنتونى إيدن - رئيس وزراء بريطانيا الأسبق - كان قبل أن يصنع أو يتخذ قرارًا سياسيًا فى شئون الشرق الأوسط يجمع المستشرقين البريطانيين ويستمع إلى آرائهم، ثم يقرر ما يقرر فى ضوء ما يسمعه منهم، خصوصا أن بعضهم كان يؤسس صلات صداقة قوية مع البارزين من رجال الأمة العربية ويتخذ من هذه الصلات ستارًا يقوم من ورائه بأعمال التجسس فى أثناء الحرب.

لعل خير دليل على أن الاستشراق كان له دور كبير فى خدمة الاستعمار هو أن الإمبريالية الأوروبية بلغت أعلى مراحل تطورها فى الشرق الأوسط خلال تلك الأعوام التى شرعت خلالها الجامعة المصرية فى الاستعانة بالمستشرقين للتدريس بها. حيث استقدم الملك فؤاد فى عام ١٩٣٣ المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون وعينه عضوًا بمجمع اللغة العربية. وفى نفس العام عين المستشرق الإنجليزى هاملتون جب، عضوًا أيضًا بنفس المجمع. وفى عام ١٩٢٦ عين المستشرق الفرنسى جاستون فييت مدير متحف الفن الإسلامى بالقاهرة. وفى عام ١٩٢٥ جاء المستشرق الفرنسى كازانوفا للتدريس بالجامعة المصرية. ولقد قدم هؤلاء المستشرقون المشورة لحكوماتهم سواء فى إحباط خطط منافسيهم من الأوروبيين، أو فى إخضاع الشعوب المسلمة وبسط السيطرة الغربية عليها، فكان من بين الفرنسيين أن خدم المستشرق الفرنسى جاستون بالجيش الفرنسى فى أثناء الحرب العالمية الأولى، وكان المترجم لجورج بيكو عند تحديده لمطالب فرنسا فى أراضى الدولة العثمانية، وأما زميله لويس ماسينيون، فقد عمل بالمكتب الذى أشرف على الاستيلاء على المناطق التى حددتها اتفاقية سايكس بيكو من أجل فرنسا.

والمستشرق البريطانى آربرى، الذى سخر معرفته بالعربية والفرنسية فى خدمة وزارة الإعلام البريطانية إبان الحرب العالمية الثانية. كل هؤلاء - وغيرهم كثيرون - عاونوا حكومات أوربية فى احتلالها لبلاد المسلمين[٣٢].

ولا تزال كتابات المستشرقين حتى الآن تخدم الاستعمار الحديث للعالم الإسلامى، وخير مثال على ذلك احتلال أمريكا للعراق، فلقد ظهرت كتابات استشراقية قبل الحملة الأمريكية على العراق تحث الحكومة الأمريكية والعالم الغربى على محاربة الإسلام. ولقد كانت أصوات هؤلاء المستشرقين ذات صدى قوى، فلقد نجحوا فى جر الحكومة الأمريكية لحرب العراق واحتلالها. وكثيرا ما انصاعت الإدارة الأمريكية لآراء كل من برنارد لويس وفؤاد عجمى وهما من أشهر المستشرقين الأمريكيين الذين كتبوا عن الإسلام والغرب. ولقد استدعى الرئيس الأمريكى جورج بوش المستشرق برنارد لويس إلى البيت الأبيض سرًّا لكى يجيب عن سؤال أمريكا المحورى بعيد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١: لماذا يكره العرب والمسلمون أمريكا؟ولقد صدر كتاب للباحث اليهودى مارتر كريمر تلميذ برنارد لويس ورئيس معهد موشيه ديان لدراسات الشرق الأوسط يصب فيه جام غضبه على الدراسات الشرق أوسطية؛ لأنها لم تستطع أن تتنبأ بتلك الأحداث(٣٣).

وإذا كان ما ذكرناه سابقًا يتصل بالمرحلة الأولى للاستشراق الاستعمارى - وهى مرحلة إمداد القادة والحكام الغربيين بالمعلومات عن العالم الإسلامى - فإن المرحلة الثانية هى مرحلة رسم السياسة الاستعمارية للمستعمر فى البلد التى بسط نفوذه عليها ووضع الخطط التى يتم السير بناء عليها. ولقد برزت هذه المرحلة مع بداية استقلال البلدان الإسلامية عن الاستعمار الغربى، وتجلت أكثر عندما رجعت جيوش المستعمر إلى بلادها، ففى كل سفارة من سفارات الدول الغربية

يوجد سكرتير أو ملحق ثقافى يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فى البلدان العربية والإسلامية، ومن ثم يتعرف على أفكارهم ويبث فيهم من الآراء والاتجاهات السياسية ما تريده دولته وما يخدم مصالحها وأغراضها فى تلك البلدان. حيث تحتاج الدول الاستعمارية لمن يرصد لها باستمرار واقع تلك البلاد المستعمرة وما تموج به من تيارات وحركات مناوئة لها ولمصالحها ولا يزال الغرب يتبنى بقوة إشاعة الأفكار التى تضعف من تماسك المسلمين مثل الدعوة إلى القوميات وإحلال اللهجات العامية محل الفصحى والترويج للعلمانية فى البلاد الإسلامية، وذلك من خلال المستشرقين وكتاباتهم وأفكارهم التى يغزون بها تلك البلدان ويضللون شعوبها(٣٤).

وهناك أمر يجب التنبيه إليه ونحن نتحدث عن الدافع الاستعمارى للاستشراق وهو أن الدول الغربية استعانت برجال الدين من المبشرين الذين اتخذوا التبشير وسيلة ظاهرية لتحقيق أهداف سياسية واستعمارية. ونحن قد أشرنا سلفا إلى أن أغلب المستشرقين كانوا ولا يزالون يجمعون بين العمل مع الكنيسة والتعاون مع الاستعمار القديم والحديث، ومن هؤلاء، المستشرق البريطانى جب، والفرنسى ماسينيون، والهولندى سنوك هورجرونيه، وكان من توجيهات هورجرونيه التى أسداها لبلاده فى أثناء احتلالها للملايو وإندونيسيا ضرورة العمل على إظهار التناقض بين الإسلام من جهة، والمدنية والحداثة من جهة أخرى، وإقناع المسلمين بأنهما ضدان لا يجتمعان ولابد من رفع أحدهما، قاصدين الإسلام بالطبع، حتى تلحق البلدان



الإسلامية بركب الحداثة والتطور، فلما كانت الحداثة الغربية هى النظام المبتغى والسائد عالميا ولا مندوحة عنها لمن يريد أن يلحق بركب التطور العالمى، كان من البديهى أن الذى سيرتفع من النقيضين هو الإسلام. فهذا المستشرق يريد أن يثبت أن الإسلام لا يتماشى مع الأحكام العصرية، وأنه نظام قديم قد بلى ولم يعد صالحاً لأن يساير متطلبات العصر. ولا ريب أن الاستشراق قد استهدف تزييف الفكر الإسلامى للوصول إلى غاية أساسية هى إخضاع المسلمين لحكم المستعمرين(٣٥).

هكذا أصبح التبشير وسيلة فعالة لخدمة السياسة الاستعمارية، والدليل على ذلك أنه لما عقد المبشرون مؤتمر لنكاو بالهند عام ١٩١١م أخذوا يدرسون الأحوال السياسية للعالم الإسلامى ولاحظوا انقسامه ولقد قال كبيرهم فى حينها، صمويل زويمر، رئيس المبشرين فى الشرق الأوسط: «إن الانقسام السياسى الحاضر فى العالم الإسلامى دليل بالغ على عمل يد الله فى التاريخ واستثارة للديانة المسيحية... إن ثلاثة أرباع العالم الإسلامى أصبحت سهلة الاقتحام على الإرساليات التبشيرية... كما أن هناك أكثر من مائة وأربعين مليوناً من المسلمين فى الهند وجاوه والصين ومصر وتونس والجزائر، يمكن أن يصل إليهم التبشير المسيحى بشيء من السهولة». و هذه المقولات تبين لنا أن التبشير استخدم أيضًا لأهداف سياسية استعمارية أهمها إبقاء العرب والمسلمين على حالة الفرقة ومنعهم من الاتحاد والتجمع فى صف واحد، كما أن هؤلاء يعتقدون أن التبشير وحده هو الكفيل بكسر شوكة الوحدة الإسلامية باعتبارها تكتلاً ضد الاستعمار الأوروبى(٣٦).

- **الدافع الاقتصادى :**

ظهرت تلك الأهداف التجارية أو الاقتصادية للاستشراق فى عصر ما قبل الاستعمار الغربى للعالم الإسلامى إبان القرنين التاسع عشر والعشرين. فقد كان الغربيون مهتمين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعاتهم التى كانت فى طريقها للازدهار. ومن أجل هذا وجدوا أن الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية، والتعرف عليها ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية، حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد ويصلوا باستفادتهم منها إلى أعلى المستويات.

ولذلك كانت المؤسسات المالية والشركات، وكذلك الملوك فى بعض الأحيان يزودون الباحثين بما يحتاجون إليه من مال، كما كانت الحكومات المعنية تمنحهم الرعاية والحماية. ونظرًا لأهمية الدين وتأثيره الفعال فى الأخلاق والمعاملات، فقد اتجه هؤلاء الباحثون لدراسته وكتابة التقارير وتأليف الكتب عن البلدان الإسلامية وعن طبائع المسلمين فيها. وفى العصر الحديث، أصبح الدافع الاقتصادى للاستشراق من أهم الدوافع، فقد كان مرتبطا أشد الارتباط بالدوافع السياسية؛ لأن المستعمر الغربى كان يسعى للحصول على معلومات اقتصادية عن البلد المستعمرة، ومن هنا يأتى دور المستشرق فى جمع معلومات اقتصادية عن هذا البلد أو ذاك، وذلك من أجل فتح أسواق جديدة للمنتجات الغربية. ومهمة المستشرق هنا تتلخص فى العمل على بقاء اقتصادات العالم الإسلامى تحت



سيطرة الغرب حتى يبقى متخلفًا مما يضمن للدول الغربية مصدرًا رخيصًا للمواد الخام وسوقًا رائجة لصناعتهم(٣٧).

ويرى الدكتور محمود حمدى زقزوق أن ظهور هذه الدوافع الاقتصادية للاستشراق ، كان فى عصر ما قبل الاستعمار الغربى للعالم الإسلامى خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، فقد كان الغرب مهتمًا بتوسيع تجارته والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعته ، ومن هنا كانت الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية للتعرف عليها ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية من أجل تحسين المعاملات مع تلك البلاد. ولقد ظهرت فى العصر الحاضر ظاهرة ما يسمى بالخبير الاقتصادى ، وهو يعمل لدى الحكومات الغربية ويقوم بتقديم المعلومات اللازمة من الناحية الاقتصادية ، وتوجد هذه الوظيفة فى الشركات الكبرى الغربية وغيرها ، ومن الجهات التى تهتم باقتصاد العالم الإسلامى كبعض البنوك العالمية مثل البنك السويسرى ، وبنك لويد وغيرها ، فكل هؤلاء لديهم خبراء اقتصاديون يقدمون لهذه الجهات ما تريده من معلومات عن اقتصاد العالم الإسلامى. ولأجل هذا الدافع: دعم الغربيون الدراسات الاستشراقية لدراسة جغرافية العالم الإسلامى وأنفقوا على هذه الدراسات الأموال الطائلة؛ لأنها فى النهاية تخدم الدول الغربية فى بسط نفوذها الاقتصادى على العالم العربى والإسلامى(٣٨).

وهناك إلى جانب تلك الدوافع الاقتصادية الرسمية فى الغرب ، ما يسمى بالدافع الاقتصادى الفردى لدى بعض المستشرقين ، وهو ما



أشار إليه الدكتور محمد البهى حينما أكد أن فريقا من الباحثين الغربيين دخل ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية، إذ كان التنافس فى هذا المجال أقل منه فى غيره من أبواب الرزق. أو دخلوا هاربين عندما قعدت بهم إمكاناتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء فى العلوم الأخرى. أو دخلوه تخلصًا من مسئولياتهم الدينية المباشرة فى مجتمعاتهم المسيحية، حيث أقبل هؤلاء على الاستشراق تبرئة لذمتهم الدينية أمام إخوانهم فى الدين وتغطية لعجزهم الفكرى. كما أن هناك عاملاً اقتصاديًا للاستشراق يتخذه كثير من المثقفين كمهنة ناجحة وهى الاتجار فى الكتب التجارية عن العالم الإسلامى، وتشجيع نشر المؤلفات والكتب التى تدور حول القضايا الإسلامية، حيث تنال هذه المؤلفات الإعجاب والقبول الكثير لدى المهتمين فى الغرب.

ولا يزال الدافع الاقتصادى للاستشراق موجودًا عند كثير من المستشرقين المعاصرين، بل إننا إذا سألنا أحدهم عن أسباب اهتمامه بدراسة الشرق الإسلامى، تكون الإجابة: لدواعٍ اقتصادية. وهناك نماذج كثيرة نذكر منها المستشرق الفرنسى المعاصر جان بول شارنيه، فحينما سئل عن سبب اهتمامه ودراسته للشرق الإسلامى أجاب: إن منطقة الشرق تمتلك ثروة البترول وهو مصدر هام للطاقة فى الغرب وبالتالى، فهناك ضرورة لدى الدول الصناعية الكبرى لدراسة كيفية تطور هذه المجتمعات الغنية. كذلك المستشرق الفرنسى أوليفيه كاريه، حينما سئل عن سبب دراسته للشرق كان من أحد الأسباب التى ذكرها: أن هناك اهتمامًا مرتبطًا بشكل وثيق بما أطلق عليه الأوروبيون اسم



«الصدمة البترولية» باعتبار أن البترول مورد هام فى أيدى العرب والمسلمين، الأمر الذى يوجد أسبابًا اقتصادية واضحة للاهتمام الغربى بهذه المنطقة من العالم(٣٩).

- الدافع العلمى :

يتضح من استعراضنا لنشأة وتطور الظاهرة الاستشراقية أن ميول المستشرقين قد اتجهت فى بادئ الأمر إلى الكتابة عن الشرق الإسلامى لأغراض غير علمية ثم تحولت بعد ذلك إلى أغراض علمية، وهذا ما بينه المستشرق الألمانى رودى بارت، حينما أكد أن الاستشراق لم يتشكل كعلم إلا فى منتصف القرن التاسع عشر، وذلك عندما تأكد استعداد الناس للانصراف عن الآراء المسبقة وعن الصور الذهنية النمطية المشوهة والاعتراف لعالم الشرق بكيانه الخاص الذى تحكمه نظمه الخاصة. وعندئذ اجتهد المستشرقون فى نقل صورة موضوعية للشرق وفهم الموضوعات الشرقية فهمًا موضوعيًا. ويقرر بارت فى هذا الخصوص أن معظم الكتابات الاستشراقية قبل ذلك كان ينقصها الطابع العلمى، إذ يقول: «إننا نؤكد بضمير مطمئن أننا فى دراستنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة»(٤٠).

وحينما نتحدث عن الدافع العلمى يبدو لنا أن هذا الدافع يسير فى اتجاهين:

الأول: اتجاه علمى ينصرف إلى دراسة علوم الشرق الإسلامى فى مختلف التخصصات العلمية ونقلها إلى الغرب لتنهض أوروبا

وتتقدم نحو الرقى الحضارى الذى سبقها إليه المسلمون، حيث كان الغرب يعيش فى جهل وتخلف ففتح عينه على تقدم المسلمين وتفوقهم الحضارى، وخاصة عندما فتح المسلمون الأندلس وأقاموا فيها حضارة زاهرة فأقبل الغربيون على الأندلس لكى يتتلمذوا على أيدى أساتذتها ويأخذوا عنهم أسباب تفوقهم الحضارى فتعلموا اللغة العربية وجمعوا المخطوطات ونقلوها إلى بلادهم حتى تنهض كما نهض المسلمون، وظل هؤلاء المستشرقون يدرسون وينقلون تلك العلوم عن العرب والمسلمين محتفظين لأنفسهم بمواقفهم غير الودية نحو الإسلام والمسلمين.

وأما الاتجاه الآخر، فكان ينحو باتجاه النهل من معارف وعلوم العرب بغرض الاستزادة والتعلم، وقد قام بتلك المهمة قلة من المستشرقين أقبلوا على دراسة الشرق الإسلامى تدفعهم الحوافز العلمية وحب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل حظًا فى ارتكاب الأخطاء والهفوات المسيئة إلى العرب والمسلمين؛ لأنه لم تكن لديهم غاية إلا خدمة العلم والبحث عن الحقيقة. وهذه الفئة التى اتجهت تبحث عن الحقيقة حسب جهدها واجتهادها فى فهم وقائع التاريخ العربى الإسلامى، كانت فى نفس الوقت لا تخلو من شطحات أو تحريفات لها ما يبررها بسبب جهل أو قصور لدى المستشرقين أنفسهم فى فهم النصوص العربية وهضمها. ومن أبرز نماذج هذه الفئة: ريتشارد سون الذى تناول فى كتابه «التاريخ النقدى للعقائد وعادات أمم الشرق» عام ١٦٨٤م، عادات وعقائد المسلمين فى وضوح واتزان مستندًا فى عرضه لها على مرجع



لأحد علماء المسلمين مبديًا تقديره وإعجابه بالعادات الإسلامية، حتى اتـهم من جانب المستشرقين غير الموضوعيين بالانحياز للإسلام والتعاطف مع المسلمين(٤١).

وقد كانت هناك محاولات علمية جادة للتعرف على الإسلام والمسلمين بعد التحرر من الأنماط الفكرية المشوهة المسبقة وغير الموضوعية، ومن أبرز تلك المحاولات:

المستشرق هارديان ١٧١٨م – أستاذ اللغة الشرقية بجامعة أوترشت بهولندا – وله كتاب بعنوان «الديانة المحمدية» ويقع فى جزءين، حيث قام فى هذا الكتاب بتصحيح الآراء الغربية التى كانت سائدة حينذاك عن تعاليم الإسلام، وقد حظى هذا الكتاب باهتمام عظيم لدرجة أدت إلى إثارة الشبهات حول المؤلف واتهامه من قبل بعض المتحاملين على الإسلام والمسلمين بأنه يريد القيام بعمل دعائى للإسلام، فى حين أنه لم يكن يقصد إلا الوصول إلى فهم الدين الإسلامى فهمًا صحيحًا ممهدًا بذلك السبيل إلى محاربته من جانب النصرانية بطريقة أفضل من ذى قبل، ولكن الكنيسة أدرجت الكتاب ضمن قائمة الكتب المحرم تداولها.
وعلى الرغم من أن ريلاند أكد أن المسلمين ليسوا مجانين كما يظن الغرب وأن الدين الإسلامى – الذى انتشر انتشارًا هائلا فى آسيا وإفريقيا وفى أوروبا أيضًا – ليس هرطقة أو دينًا سخيفًا كما يتخيل كثير من المسيحيين، فإنه يؤكد فى موضع آخر على أن الدين الإسلامى دين سيئ جدًا أو ضار بالمسيحية إلى حد بعيد، وهو ما يستوجب فهمه ودراسته من قبل كل مسيحى وغربى من قبيل اكتشاف أعماق



الشيطان وحيله بشكل دقيق وحقيقى لكى يحاربه بطريقة أكثر أمانًا وأشد قوة. ومن جانبه، يرى الدكتور حمدى زقزوق أن دفاع ريلاند عن آرائه الموضوعية عن الإسلام ما هو إلا مجرد ذر للرماد فى العيون حماية لنفسه من بطش الكنيسة التى لم تقتنع بهذه المبررات فحرمت تداول الكتاب؛ لأنها لم تكن تريد للحقيقة أن ترى النور مخافة أن يطلع عليها الناس وينجذبوا لها(٤٢).

بيد أننا فى الحقيقة لم نكن فى حاجة إلى أن يقدم الدكتور زقزوق حجة أو يلتمس عذرا لريلاند بأنه قال ما قال حماية لنفسه من بطش الكنيسة، خصوصًا أن الدكتور زقزوق قد قال فى البداية كما ذكرنا بأن ريلاند - وإن التزم الموضوعية بعض الشىء - فإنه كان يريد من وراء ذلك الوصول إلى فهم الدين الإسلامى فهمًا صحيحًا ممهدًا بذلك السبيل إلى محاربته من جانب النصرانية. فريلاند، مثله مثل غيره من المستشرقين الذين يضمرون العداء للإسلام وإن كانوا يتظاهرون بالموضوعية فى كتاباتهم عنه.

ولقد ظهرت مجموعة من مستشرقى الجيل الجديد يحاولون أن يسيروا على نهج هذه الفئة التى اتسمت بقربها من الحقيقة والتزامها المنهج العلمى المتجدد إذا ما قورنت بالفئة ذات النهج المتزمت. ومن أمثلة هؤلاء المستشرق الفرنسى دومينيك شوفالييه، فعندما سئل عن سبب دراسته للشرق الإسلامى أجاب بأن اهتمامه بالعالم العربى ينبع من سعيه لمعرفة حضارة أخرى غير حضارته، فمن شأن ذلك أن يفضى دائمًا إلى الاغتناء والثراء الحضارى، واعتبر دراسة الشرق



وسيلة للتقابل بين قيم الحضارات فى إطار أهداف خلاقة حتى يتحقق بذلك الثراء الحضارى المتبادل(٤٣).

كانت تلك أبرز دوافع الاستشراق، غير أن هناك دوافع أخرى له ولكن أصحابها قلة، فهناك من أقبل على دراسة الاستشراق بدافع شخصى، فمن المستشرقين من كان يعيش فى بلاد الشرق، وكان لهذا أكبر الأثر فى اندفاعه البحثى لدراسة هذا البلد الشرقى أو ذاك. وهناك من اتجه نحو دراسة الاستشراق بدافع الفضول المعرفى، وهناك من رأى أن الحاجة ماسة لدراسة الشرق الإسلامى بسبب الوضع الراهن فى المنطقة وما يحدث فيها من تصارع وتصادم ومشاكل سياسية واجتماعية واقتصادية جعلت بعض المستشرقين يقدم على دراسة الشرق الإسلامى لكى يتعرف على الأسباب التى أدت إلى هذه الأوضاع المتردية، هل هم قادة هذه الدول أم هى أسباب ترجع للإسلام نفسه؟.

رابعًا: أدوات المستشرقين ووسائلهم:

تعددت وسائل المستشرقين وتنوعت أدواتهم من أجل خدمة أغراضهم وتحقيق أهدافهم، التى سلفت الإشارة إليها، حيث ألفوا الكتب، وأصدروا المجلات ودرسوا فى الجامعات وأسسوا الأقسام العلمية المتخصصة فى شئون العرب والمسلمين، وعقدوا المؤتمرات وغير ذلك الكثير من الوسائل. وسوف نحاول فيما يلى إلقاء الضوء على أهم هذه الوسائل والأدوات:

– **تأليف الكتب:** كثرت مجالات التأليف فى الدراسات العربية والإسلامية لدى المستشرقين وبلغ عدد ما ألفوه عن الشرق منذ أوائل

القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين ، ستين ألف كتاب فى مختلف فنون العلم تاريخًا وأدبًا وفلسفة. فلقد ألفوا فى التاريخ العربى والإسلامى وعلم الكلام وفى الشريعة والفلسفة الإسلامية وفى الدراسات المتعلقة بالقرآن والسنة النبوية وفى النحو العربى وغيرها، ولم يتركوا مجالاً من مجالات العلوم العربية والإسلامية إلا وألفوا فيه ولهم بعض مؤلفات ذات فائدة علمية للباحثين ولهم مؤلفات أخرى تزخر بالطعن فى الإسلام وتمتلئ بالأكاذيب التى ليس لها فى سوق العلم نصيب(٤٤). ومن أمثلة هذه المؤلفات التى تمتلئ بالحقد على الإسلام والطعن فيه:

«حياة محمد» تأليف وليم موير، «دين الشيعة» من تأليف دونالدسون، «الإسلام» تأليف الفريد جيوم. «الإسلام اليوم» تأليف أ. ج. آربرى، «الإسلام» ظهر بالفرنسية، تأليف هنرى لامانس. «تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى»، تأليف جولد تسيهر. «الإسلام تحد لعقيدة» ظهر بالإنجليزية تأليف صمويل زويمر. «دعوة المئذنة» ظهر بالإنجليزية، تأليف جينيت كراج. «مصادر تاريخ القرآن» بالإنجليزية، تأليف آرثر جيفرى. «تاريخ العرب»، ظهر باللغة العربية والإنجليزية، تأليف فيليب حنا. «عقيدة الإسلام» ظهر بالإنجليزية، تأليف فينسنك. «محمد ومطلع الإسلام»، تأليف مرجليوث. كتاب «ميزان الحق» لفاندر، المستشرق الأمريكى والدكتور سنكلير تسدل. كتاب «الهداية»، ويقع فى أربعة أجزاء، وهو تفنيد صريح للإسلام وطعن سافر فى القرآن الكريم. كتاب «مقالة فى الإسلام» للمستشرق سال. كتاب «مصادر الإسلام» للدكتور

سنكلير تسدل. وهذه الكتب الأربعة تعتبر - من وجهة نظر المستشرقين والمبشرين - من أخطر المراجع للهجوم على الإسلام والقرآن والرسول (ﷺ).

ولعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن: إصدار دائرة المعارف الإسلامية بعدة لغات، وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التى صدرت بها الدائرة، وقد بدءوا فى الوقت الحاضر فى إصدار طبعة جديدة تظهر فى عدة أجزاء. ومصدر الخطورة فى هذا العمل هو أن المستشرقين عبئوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة وهى مرجع لكثير من المسلمين فى دراساتهم على ما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين. وكان من محررى دائرة المعارف الإسلامية الأب هنرى لامنس اليسوعى الفرنسى شديد التعصب ضد الإسلام والحقد عليه، مفرط فى عدائه لدرجة أقلقت بعض المستشرقين أنفسهم. وكذلك أيضًا يوسف شاخت من محررى دائرة المعارف الإسلامية، وهو ألمانى متعصب ضد الإسلام والمسلمين وأشهر كتبه «أصول الفقه الإسلامى». كذلك أيضًا المستشرق نيكوسون من أكبر مستشرقى إنجلترا ومن محررى دائرة المعارف، تخصص فى التصوف الإسلامى والفلسفة، وكان عضوًا بالمجمع اللغوى المصرى، وغيرهم كثيرون(٤٥).

- الترجمة والنشر:

استعانت الحركة الاستشراقية فى مهدها بترجمة كتب المسلمين الأوائل إبان ازدهار الحضارة الإسلامية فى الأندلس إلى لغة بلادهم

للاستفادة مما فيها، وتوالت حركة الترجمة هذه إلى أن تطورت إلى فكر جديد، وهذا الأمر لا يشكل خطورة على المسلمين فى شىء، إنما يكمن الخطر فى أن كل ترجمة يقوم بها المستشرقون يضعون لها مقدمة تعطى للقارئ من أول وهلة صورة عن التصور الغربى للإسلام، ومن ثم تقف هذه المقدمة حائلاً بين القارئ والكتاب فتحول بينه وبين الفهم الصحيح للإسلام. ولقد نقل المستشرقون العديد من الكتب العربية إلى لغاتهم الأصلية، فعلى سبيل المثال: نقلوا العديد من دواوين الشعر والمعلقات، وتاريخ أبى العلاء وتاريخ الطبرى، ومروج الذهب للمسعودى، وتاريخ الممالك للمقريزى، وتاريخ الخلفاء للسيوطى، والمنقذ، والإحياء للغزالى وغيرها الكثير. كما أن القرآن الكريم قد تمت ترجمته لأول مرة فى القرن الثانى عشر، وقام المستشرقون منذ ذلك الوقت وحتى الآن بإعداد العديد من ترجمات القرآن إلى اللغات الأوروبية كافة وقد مهدوا لترجماتهم بمقدمات وضعوا فيها تصوراتهم عن الإسلام(٤٦). وفيما يلى بعض الترجمات المعروفة التى تمت فى عدد من اللغات الأوروبية - ولا يدخل فى هذا العدد الترجمات الجزئية أو الطبعات المتكررة - فمثلاً: فى اللغة الألمانية ١٤ ترجمة، فى اللغة الإيطالية ١٠ ترجمات، فى اللغة الفرنسية ١١ ترجمة، فى اللغة اللاتينية ٧ ترجمات، فى اللغة الإنجليزية ١٧ ترجمة، فى اللغة الروسية ١٠ ترجمات، فى اللغة الإسبانية ٩ ترجمات، فى اللغة الهولندية ٦ ترجمات.

وإلى جانب حركة الترجمة كانت هناك حركة النشر والتحقيق، فالترجمة تستلزم النشر، حيث قام المستشرقون بتحقيق الكثير من كتب



التراث، ونشروا عددًا كبيرًا من المؤلفات العربية كانت عونًا للباحثين الأوروبيين من المستشرقين وغيرهم من بلاد الشرق، وقد وجد الكثير من كتب التراث محققًا ومطبوعًا على أيديهم، ومن ذلك على سبيل المثال: «الإتقان» للسيوطى، و«الكشَّاف» للزمخشرى، وتاريخ الطبرى، وكتاب سيبويه، و«الكامل» للمبرد، و«اللمع» للطوبى، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان، وغيرها الكثير. ولقد كان من وسائل إذاعة الفكر الاستشراقى، دور النشر، ومن أشهرها كما ذكرها نجيب العقيقى، فى باريس: دار إرنست لرو، معروفة بنشر المطبوعات الاستشراقية من كتب ومجلات ونشرات. دار هنرى فلتر، وفيها الكثير من المخطوطات العربية والفارسية والتركية. دار مزونيف، وهى من أكبر دور النشر فى فرنسا وأوروبا.

وفى إنجلترا: دار بروبستاين فى لندن، وتنشر فهرسًا دوريًا باسمه. دار هيفر وأولاده فى كمبردج، وتنشر بعنوان المكتبة الآسيوية فهارس دقيقة للمطبوعات الشرقية. دار برنارد كوارتيتش فى لندن وتنشر فهرسًا دقيقًا مشهورًا بعنوان فهرس المطبوعات الشرقية.

وفى ألمانيا: دار هاراشوفيتش، ولها نشرة شهرية لوصف ما يصدر من الكتب فى مصر وسوريا ولبنان والهند والمغرب الأقصى. وفى هولندا: دار بريل فى بولونيا[٤٧].

- عقد المؤتمرات :

سعت مجموعة من المستشرقين للعمل من أجل أن يكون لهم هيئة تضمهم، أصبحت بعد إنشائها من أقدم الهيئات العلمية الدولية، وهى ما



سمى بمؤتمر المستشرقين، وقد انعقد أول اجتماع له عام ١٨٧٤، واتفق على أن يكون له دورة كل ثلاث سنوات. ومؤتمر المستشرقين هذا هو عبارة عن هيئة علمية متشعبة الأطراف متعددة الجوانب تعنى بالحضارات الشرقية فى تاريخها الطويل، القديم والمتوسط والحديث والمعاصر، ويعالج المظاهر المختلفة لهذه الحضارات من دين ومعتقدات وعلم وفلسفة وأدب ولغة. وهو باختصار فرصة مواتية للتنويه بالجهود التى تبذل فى دراسة الحضارات الشرقية كل ثلاث سنوات. وقد عقد المستشرقون منذ عام ١٨٧٣ إلى عام ١٩٧٦ ثلاثين مؤتمرًا، بالإضافة إلى بعض المؤتمرات الإقليمية أو الجامعية. ولقد ذكر العقيقى فى كتابه «المستشرقون» هذه المؤتمرات، وأورد أن أولها كان مؤتمر باريس عام ١٨٧٣م. ومن عام ١٩١٤- ١٩١٨ انعقد ستة عشر مؤتمرًا. وفى عام ١٩٤٥ انعقد مؤتمر فى فيينا. ومن عام ١٩٣٩- ١٩٤٥ انعقد مؤتمر اللغات الشرقية فى باريس[٤٨].

ويشرف على تنظيم كل مؤتمر لجنة من علماء الدولة التى يعقد فيها، ويضم المؤتمر دراسات لمئات العلماء والمهتمين بالدراسات الاستشراقية فى مجلدات بعنوان «أعمال المؤتمر» يُهتدى بها كنظم ومناهج ووسائل للمضى فى هذه الحركة العالمية كما تصبح أصولاً وأمهات وأسانيد للباحثين. ومنذ أواخر القرن التاسع عشر طفق المستشرقون يعقدون المؤتمرات الدولية مرة كل ثلاث سنوات، وكان من المؤتمرات التى عقدوها فى القرن العشرين وتدارسوا فيها منهاج سياستهم: مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦م. مؤتمر بيروت عام ١٩١١م. مؤتمر القدس عام ١٩٢٤م. ومؤتمر القدس عام ١٩٣٥.



مؤتمر نيودلهى بالهند عام ١٩٦١.(٤٩) وكان آخر هذه المؤتمرات فى يوليو ١٩٧٣م ولقد حضر هذا المؤتمر أربعة آلاف عضو، وكان من أبرز توصياته:إنشاء اتحادات جديدة فرعية، واتحاد اللغات القديمة يكون مقره القاهرة واتحاد للدراسات الإسلامية. وخلال هذا القرن من الزمان حضر هذه المؤتمرات عدد كبير من علماء العرب الذين قدموا بحوثهم أمام أعضائها وشاركوا فى أعمالها، وناقشوا مسائلها التى أثارها أصحابها حول الإسلام والرسول والقرآن وتاريخ العرب ثم عادوا بانطباعاتهم إلى بلادهم(٥٠).

- النشاط الأكاديمى :

كان التدريس بالجامعة من أهم الوسائل التى استخدمها المستشرقون فى نشر أغراضهم، بل إنه يعتبر من أهم الوسائل الفعالة فى تحقيق أهدافهم، فلا تكاد تخلو جامعة من الجامعات التى توجد فى كل عواصم الغرب من تخصص أو قسم خاص بالاستشراق، فأحياناً تكون فى بعضها معاهد مستقلة للدراسات الاستشراقية مثل جامعة ميونيخ حيث يوجد بها معهد للغات السامية والدراسات الإسلامية. ولقد بلغ عدد هذه الأقسام الإسلامية فى الجامعات الغربية أكثر من ستين قسماً فى أكثر من ستين جامعة فى الغرب، على رأس كل منهاأساتذة يهود مهمتهم الطعن والتشكيك فى الإسلام وكتابه ونبيه. ويرأس كل معهد أستاذ ويساعده بعض المحاضرين والمساعدين، وتقوم هذه المعاهد بمهمة التدريس الجامعى وتعليم اللغة العربية وتخريج الدارسين فى أقسام الماجستير والدكتوراه ممن

سيواصلون أعمالهم فى المجال الاستشراقى، وتفتح هذه المعاهد أبوابها للدارسين من كل مكان، ومنها يتخرج آلاف من الدارسين العرب والمسلمين الذين يعودون إلى بلادهم لتولى مهام التدريس الجامعى وقد تشربوا فكر أساتذتهم المستشرقين، وتأثروا بأخلاقهم والتزموا مناهجهم. ومن أشهر الجامعات التى يدرس بها المستشرقون ويستخدمونها من أجل التبشير : جامعة القديس يوحنا بلبنان. الجامعة الأمريكية باستانبول. الجامعة الأمريكية ببيروت. الكلية الفرنسية فى لاهور. الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

وتجدر الإشارة إلى أن المستشرقين لا يبثون آراءهم من خلال التدريس فى كراسى الاستشراق بجامعات الغرب فقط، بل يأتون للتدريس فى الجامعات الموجودة فى البلاد العربية والإسلامية. ولقد كانت أول دولة عربية استقدمت عدداً من المستشرقين للتدريس فى جامعاتها هى مصر، وكان من أولئك الذين استدعتهم المستشرق الإيطالى جويدى، وقد انتدبته أستاذاً سنة ١٩٠٨م، ومنهم نالينو الإيطالى، وكذلك فييت الفرنسى، وكانوا جميعاً يلقون محاضراتهم باللغة العربية. ولقد أتوا بشكل ملحوظ أيام طه حسين الذى أعطى لبعض المستشرقين فرصة للتدريس بجامعة القاهرة وخصوصا كلية الآداب، حينما كان عميدا لها ثم وزيرا للمعارف(٥١).

وقد استاء بعض المفكرين العرب والمسلمين من مجىء المستشرقين للتدريس فى جامعات عربية وإسلامية، حيث مر على المسيحيين فى أوروبا حين من الدهر كانوا يشدون فيها الرحال إلى الأندلس ليتعلموا



كتابهم المقدس من علماء المسلمين. أما الآن فقد انقلب الأمر رأسًا على عقب حيث أصبح المسلمون يرجعون إلى أهل الغرب يسألونهم عن الإسلام وتاريخه وحضارته، ليس هذا فقط، بل قد أصبحوا يتعلمون اللغة العربية منهم، ويستوردونهم لتدريس التاريخ الإسلامى. ويرى هؤلاء الباحثون المسلمون، أيضا، أن كل ما يكتبه المستشرقون الوافدون عن الإسلام والمسلمين لا يجعلونه مادة للدراسة فى كلياتهم وجامعاتهم فقط، ولكن يؤمنون به إيمانًا راسخًا مع أنهم - أهل الغرب - قوم لا يسمحون لأحد إذا لم يكن من أتباع دينهم بأن يتدخل فيما يتعلق بدينهم وتاريخهم ولو حتى فى أتفه الأمور. وبينما كان كثير من الباحثين والدارسين العرب والمسلمين يذهبون للحصول على الماجستير والدكتوراه فى بلاد الغرب وتحت إشراف هؤلاء المستشرقين، إلا أن المستشرقين حرصوا دائمًا على ألا يمكنوا باحثًا تحت إشرافهم من كشف أباطيلهم وهدم شبهاتهم، فلا يسمحون لطالب يتلقى العلم فى معاهدهم بإنصاف الإسلام، وإن خرج عن مألوفهم وأراد أن يحق الحق ويبطل الباطل فى قضية تتعلق بالإسلام وشريعته بُخس حقه فى الدرجة العلمية، بل ويعرض نفسه فى أغلب الأحيان للرسوب والحرمان من الشهادة التى تقدم لنيلها[٥٢].

ويستشهد المناهضون للنشاط التبشيرى للمستشرقين على ذلك الطرح بكتابات الدكتور مصطفى السباعى، التى أورد فيها دليلا على ذلك فى أثناء زيارته لجامعة لندن ولقائه مع البروفسور أندرسون رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية المعمول بها فى العالم الإسلامى - وكان ضمن أركان حرب الجيش البريطانى فى مصر - فيذكر

السباعى ما حدثه به المستشرق أندرسون نفسه من أنه أبطل نجاح أحد المتخرجين فى الأزهر الذى أراد نيل شهادة الدكتوراه فى التشريع الإسلامى من جامعة لندن لسبب واحد، وهو أنه قدم أطروحته عن حقوق المرأة فى الإسلام، وقد برهن فيها على أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها الكاملة. وهذا هو منهج معظم المستشرقين تجاه أى باحث يريد أن ينصف الإسلام، ومن هنا كان التدريس فى الجامعة سواء عندنا أو عندهم له أثر فعال فى خدمة أهداف المستشرقين ووسيلة فعالة فى تحقيق نواياهم الخبيثة(٥٣).

- **النشر الصحفى :**

اعتمد المستشرقون فى القيام برسالتهم على إصدار الصحف والمجلات التى تخدم أغراضهم منذ سنوات طويلة، حتى أصبح للمستشرقين اليوم عدد كبير من المجلات السيارة فى كثير من بلدان أوروبا، وقد زادت الدوريات الشرقية والمجلات لدى المستشرقين على ثلاثمائة مجلة متنوعة خاصة بالاستشراق. وهذه المجلات تحمل عناوين إسلامية وتضم فى داخلها كثيراً من الأفكار التنصيرية ومن بين هذه المجلات التى يصدرها المستشرقون وتحمل عناوين إسلامية بينما هى فى الحقيقة تنصيرية: مجلة العالم الإسلامى، وهى مجلة تبشيرية تصدر بالإنجليزية فى أمريكا وتوزع فى جميع أنحاء العالم. مجلة العالم الإسلامى، وهى مجلة تبشيرية تصدر بالفرنسية فى فرنسا وتوزع فى جميع أنحاء العالم. مجلة جمعية الدراسات الشرقية، التى أنشأها المستشرقون الأمريكيون فى جامبى بولاية أوهايو وكان



لها بعض فروع فى أوروبا وكندا. مجلة شئون الشرق الأوسط، تصدر بالإنجليزية فى أمريكا ويحررها عدد من المستشرقين المعادين للإسلام واهتمامها موجه بالدرجة الأولى إلى الجوانب السياسية. مجلة الشرق الأوسط، مجلة أمريكية سياسية تتعرض للإسلام من وقت لآخر فى بعض المقالات(٥٤).

ومن نافلة القول، أن مجلة العالم الإسلامى الفرنسية نشرت فى عدد نوفمبر ١٩١١م إصدارًا ضخمًا ليس فيه غير بحث واحد وهو بحث تبشيرى يدور حول ما تقوم به إرساليات التبشير البروتستانتية فى العالم الإسلامى وما قيل فى المؤتمرات التى عقدتها تلك الإرساليات فى أوقات مختلفة، وقد جعلت المجلة عنوان هذا البحث «الغارة على العالم الإسلامى». وكان الهدف من هذا كما يراه العلامة محب الدين الخطيب أن المجلة الفرنسية بنشرها هذا العدد الخاص بأعمال المبشرين البروتستانت تقول للمبشرين الكاثوليك: انظروا كيف سبقكم الآخرون إلى الغارة والفتح، فيجب أن تضاعفوا الجهود وتنظروا فى أساليبهم فتستفيدوا منها. وأخطر المجلات التى يصدرها المستشرقون الأمريكيون فى الوقت الحاضر هى مجلة العالم الإسلامى the muslim world ، التى أنشأها صمويل زويمر سنة ١٩١١م وتصدر الآن من هارفارد بأمريكا ورئيس تحريرها كنث كراج، وطابع هذه المجلة تبشيرى سافر. وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة العالم الإسلامى فى روحها واتجاهها العدائى التبشيرى واسمها أيضًا le monde musuliman(٥٥).

خامسا: اتجاهات المستشرقين:

من خلال هذا العرض المقتضب لأهداف المستشرقين المختلفة التى كانت تتداخل مع بعضها فى أحيان كثيرة، يتضح لنا أن المستشرقين ينقسمون إلى اتجاهات وفئات مختلفة تتراوح بين التعصب والإنصاف. فإذا تجاوزنا من لهم ميول تبشيرية خفية أو سافرة نجد أن المستشرقين العلمانيين ينقسمون إلى فئات مختلفة :

(أ) فريق من طلاب الأساطير والغرائب من هؤلاء الذين افتروا على الإسلام واخترع خيالهم المريض حوله الأقاصيص الكاذبة. ولم يكن لهذا الفريق فى سوق العلم نصيب. وقد ظهر هذا الفريق فى بداية نشأة الاستشراق. واختفى بالتدريج.

(ب) فريق من المرتزقة الذين جندوا دراساتهم وبحوثهم فى خدمة المصالح الغربية الاقتصادية والسياسية والاستعمارية. وقد أشرنا إليهم عند حديثنا عن الاستشراق والاستعمار.

(ج) وفريق من المتغطرسين الذين أخذتهم العزة بالإثم وأعمتهم الضلالة عن النزاهة العلمية، فراحت أقلامهم تقطر حقدًا وعداوة وطعنًا فى الإسلام من أمثال: بدويل وبريدو وسيل، من القرن الثامن عشر. وقد كان لكتابات بعضهم مثل سيل أثر كبير فى الغرب لمدة طويلة. ويتساوى مع هؤلاء فى الحقد والعداوة للإسلام مجموعة من الملحدين الذين ينالون من الإسلام نيلهم من النصرانية.



(د) فريق تعرض للإسلام باسم البحث العلمى ولكنهم انحرفوا عن جادة الصواب فراحوا يتلمسون نقاط ضعف فى الإسلام، ويشككون فى صحة الرسالة الإسلامية، وفى التوحيد الإسلامى، وفى القرآن الكريم من حيث مصدره أو نصه، وفى الحديث من حيث صحته، وفى قيمة الفقه الإسلامى الذاتية، وفى قدرة اللغة العربية على التطور . . إلخ.

(هـ) وهناك فريق من المستشرقين التزم فى دراسته للإسلام بالموضوعية والنزاهة العلمية وأنصف الإسلام والمسلمين. وقد أدى الأمر ببعضهم إلى اعتناق الإسلام.

(و) وهناك فريق من المستشرقين توفر على دراسة اللغة العربية وفقه اللغة والأدب العربى أو اشتغل بالمعاجم وما شابه ذلك، ولهؤلاء بحوث قيمة مفيدة.(٥٦)

١- الاستشراق - من بين شتى العلوم الأخرى - لم يطور كثيرًا فى أساليبه ومناهجه. وفى دراسته للإسلام لم يستطع أن يحرر نفسه تمامًا من الخلفية الدينية للجدل اللاهوتى العقيم الذى انبثق منه الاستشراق أساسًا. ولم يتغير شىء من هذا الوضع حتى اليوم إلا ما ندر. ومن الواضح فى هذا الصدد أن صورة العصور الوسطى للإسلام قد ظلت فى جوهرها دون تغيير، وإنما نضت عنها الثياب القديمة لأجل أن تضع ثيابًا أقرب إلى العصر. وتتعدد علائم الإصرار على الأفكار العتيقة سواء فيما يتعلق بالقرآن أو ما يتعلق منطقيًا بالعقيدة والشريعة والتاريخ فى الإسلام. وتخدم

اليوم وسائل الإعلام المتعددة فى الغرب فى تأكيد وتقوية هذا الوضع التقليدى الذى لا يزال ينظر إلى الإسلام إلى حد كبير بمنظار القرون الوسطى، ولعل هذا ما دعا السكرتير العام للمجلس الإسلامى الأوروبى فى شهر يناير١٩٧٩م إلى التنديد بوسائل الإعلام الغربية لموقفها من الإسلام، ووصفه لهذا الموقف بالإجحاف والافتراء على حقائق الدين وتشويهها. وهذا كله يحدث على الرغم من أن مجلس الفاتيكان قد أشاد فى شهر أكتوبر ١٩٦٥م بالحقائق التى جاء بها الإسلام، والتى تتعلق بالله وقدرته، ويسوع ومريم والأنبياء والمرسلين، وعلى الرغم أيضًا من قول المستشرق الألمانى بارت من أن الدراسات الاستشراقية منذ منتصف القرن التاسع عشر تنحو نحو البحث عن الحقيقة الخالصة ولا تسعى إلى نوايا جانبية غير صافية(٥٧).

والغريب أن الهيئات العالمية مثل اليونسكو - وهى هيئة دولية تشترك فيها الدول الإسلامية - تستكتب المستشرقين - بوصفهم متخصصين فى الإسلاميات - للكتابة عن الإسلام والمسلمين فى الموسوعة الشاملة التى تصدرها اليونسكو عن تاريخ الجنس البشرى وتطوره الثقافى والعلمى. وقد أثارت كتاباتهم حفيظة المسلمين على مؤسسة اليونسكو. والمهم ما فيها من مجافاة للحقائق التاريخية وتهجم على نبى الإسلام، وكتب الكثيرون احتجاجات على هذه الإساءات التى ليست إلاّ وحيًا لتقاليد موروثة، وامتدادًا للروح الصليبى، وهو عمل كان ينبغى أن تتنزه عنه هذه المؤسسة الكبيرة.



٢ - يخلط الاستشراق كثيرًا بين الإسلام كدين وتعاليم ثابتة فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة وبين الوضع المتردى للعالم الإسلامى فى عالم اليوم. فإسلام الكتاب والسنة يعد فى نظر مستشرق معاصر مثل (كيسلنج) إسلامًا ميتًا. أما الإسلام الذى يجب الاهتمام به ودراسته فهو ذلك الإسلام المنتشر بين فرق الدراويش فى مختلف الأقطار الإسلامية، هو تلك الممارسات السائدة فى حياة المسلمين اليوم بصرف النظر عن اقترابها أو ابتعادها من الإسلام الأول[٥٨].

٣ - يؤكد الاستشراق بوضوح ظاهر على أهمية الفرق المنشقة عن الإسلام كالبابية والبهائية والقاديانية والبكداشية وغيرها من فرق قديمة وحديثة، ويعمل على تعميق الخلاف بين السنة والشيعة. والمستشرقون يعدون المنشقين عن الإسلام على الدوام أصحاب فكر ثورى تحريرى عقلى، ودائمًا يهتمون بكل غريب وشاذ، ودائمًا يقيسون ما يرونه فى العالم الإسلامى على ما لديهم من قوالب مصبوبة جامدة. وقد أشار المستشرق رودنسون إلى شىء من ذلك حين قال:

(ولم ير المستشرقون فى الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته، فاهتموا كثيرًا بالأشياء الصغيرة والغريبة، ولم يكونوا يريدون أن يتطور الشرق ليبلغ المرحلة التى بلغتها أوروبا، ومن ثم كانوا يكرهون النهضة فيه).

٤ – يفتقد المرء الموضوعية فى كتابات معظم المستشرقين عن الدين الإسلامى، فى حين أنهم عندما يكتبون عن ديانات وضعية مثل البوذية والهندوكية وغيرهما يكونون موضوعيين فى عرضهم لهذه الأديان. فالإسلام فقط من بين كل الديانات التى ظهرت فى الشرق والغرب هو الذى يهاجم. والمسلمون فقط من بين الشرقيين جميعًا هم الذين يوصمون بشتى الأوصاف الدنيئة. ويتساءل المرء: لماذا ؟ ولعل تفسير ذلك يعود إلى أن الإسلام كان يمثل بالنسبة لأوروبا صدمة مستمرة. فقد كان الخوف من الإسلام هو القاعدة. وحتى نهاية القرن السابع عشر كان الخطر العثمانى رابضًا عند حدود أوروبا ويمثل - فى اعتقادهم - تهديدًا مستمرًا بالنسبة للمدنية النصرانية كلها.

ومن هنا يمكن فهم ما يزعمه موير Muir من أن سيف محمد والقرآن هما أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم حتى الآن عنادًا ضد الحضارة والحرية والحقيقة . وما يدَّعيه فون جر ونيباوم من أن الإسلام ظاهرة فريدة لا مثيل لها فى أى دين آخر أو حضارة أخرى. فهو دين غير إنسانى وغير قادر على التطور والمعرفة الموضوعية. وهو دين غير خلاق وغير علمى واستبدادى.

٥ – يعطى الاستشراق لنفسه فى دراسته للإسلام دور ممثل الاتهام والقاضى فى الوقت نفسه. فبينما نجد مثلاً أن علم التاريخ يحاول أن يفهم فقط ولا يضع موضع الشك أسس المجتمع الذى يدرسه، نجد الاستشراق يعطى لنفسه حق الحكم، بل وحتى الاتهام

والرفض للأسس الإسلامية التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى. وذلك ناتج عن نوايا مسبقة لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون نوايا علمية صافية كما يدعى المستشرق رودى بارت.

٦ – يعد الاستشراق أسلوبًا خاصًا فى التفكير ينبنى على تفرقة أساسية بين الشرق والغرب. (فالشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا) كما قال الشاعر الاستعمارى المشهور كبلنج. Kepllng فالغربيون عقليون ومحبون للسلام ومتحررون ومنطقيون وقادرون على اكتساب قيم حقيقية، أما الشرقيون فليس لهم من ذلك كله شىء.

٧ – يعمد المستشرقون إلى تطبيق المقاييس النصرانية على الدين الإسلامى وعلى نبيه (ﷺ)، فالمسيح – فى نظر النصارى - هو أساس العقيدة، ولهذا تنسب النصرانية إليه. وقد طبق المستشرقون ذلك على الإسلام واعتبروا أن محمدًا (ﷺ) يعنى بالنسبة للمسلمين ما يعنيه المسيح بالنسبة للنصرانية، ولهذا أطلقوا على الإسلام اسم (المذهب المحمدى Mohammedanism) وأطلقوا على المسلمين وصف «المحمديين» . ولكن هناك سببًا آخر لاستخدام هذا الوصف لدى الكثيرين منهم وهو إعطاء الانطباع بأن الإسلام دين بشرى من صنع محمد وليس من عند الله.

٨ – إن الإسلام الذى يعرضه هؤلاء المستشرقون - المتحاملون على الإسلام - فى كتبهم هو إسلام من اختراعهم، وهو بالطبع ليس الإسلام الذى ندين به، كما أن محمدًا الذى يصورونه فى

مؤلفاتهم ليس هو محمد الذى نؤمن برسالته، وإنما هو شخص آخر من نسج خيالهم.

وهكذا يمكن القول بأن الاستشراق - فى دراسته للإسلام - ليس علماً بأى مقياس علمى، وإنما هو عبارة عن أيديولوجية يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات(٥٩).

سادسا: الوجه الآخر للاستشراق:

على الرغم من أن أهداف الاستشراق ودوافعه المغرضة كانت تنأى به عن الموضوعية فى أحيان كثيرة، وتدفع بالمستشرقين نحو الافتراء على العرب والمسلمين وتشويه صورتهم، فإن ذلك لم يحل دون ظهور نماذج من المستشرقين الموضوعيين الذين كانت كتاباتهم بمثابة جسور للتفاهم والتواصل الحضارى والثقافى بين الشرق والغرب، ومن أبرز تلك النماذج:

- **المستشرق الإسبانى تورميدا (١٣٥٢- ١٤٣٢)**، حيث كان تورميدا من أولئك المستشرقين المهتدين فى عصور الاستشراق المتقدمة، وقد ولد فى جزيرة مايوركا الإسبانية وتلقى علومه فى إيطاليا، ثم رحل إلى تونس حيث أسلم هناك على يد السلطان أحمد بنٍ أبى بكر الحفصى، وتسمى بعبد الله بن على، واشتغل ترجماناً، ثم ولاه السلطان المكوس، ولا يزال قبره داخل باب المنار. ومن آثاره التى ألفها فى معرض دفاعه عن الإسلام والمسلمين ضد أباطيل الاستشراق، «تحفة الأديب فى الرد على أهل الصليب»، والذى اعتمد فيه على آراء ابن حزم(٦٠).

- **المستشرق الإنجليزى جون فيلبى**، وهومن المستشرقين عكف على البحث الحر النزيه الذى هداه إلى اعتناق الإسلام ومن هنا، فقد استطاع من خلال إقامته فى بلاد العرب أن يطلع على تعاليم الدين الإسلامى اطلاعًا مقنعًا حبب إليه اعتناق هذا الدين، ولقد لاحظ عليه كثير من المهتمين به ذلك الحب الكبير الذى يبدو منه نحو الدين الإسلامى، حتى إنه سُئل عن أسباب عدم اعتناقه الإسلام حتى يصبح عربيًا مسلما بعد أن اتخذ من بلاد العرب وطنًا. فأجاب بأنه سيكون يومًا ما مسلمًا عندما يتم اقتناعه بهذا الدين، فهو لا يريد أن يكون مسلما فقط من حيث المسمى أو الوصف الذى يتخذه قناعًا يستتر به بينما قلبه خال من الإيمان والتقوى. الغريب أنه لم يمر أسبوع واحد على هذه الواقعة حتى أسلم فيلبى(٦١).
- **المستشرق الفرنسى أتين دينيه أو (ناصر الدين)**، حيث كان من أبرز المستشرقين الذين اعتنقوا الإسلام، بعد أن بحث طويلاً عن الدين الحق، وبعد أن أخفقت المسيحية فى إرضاء ضميره الدينى، وبعد أن وجد العقل عاجزا فى سبر أغوار ميدان ما وراء الطبيعة، فأخذ يبحث ووجد فريقًا من المسيحيين اعتنقوا الدين الإسلامى من مفكرين وفلاسفة وعلماء، فسأل نفسه لماذا صار بعض الإنجليز وغيرهم من الأوروبيين مسلمين؛ ذلك لأنهم كانوا يتلمسون عقيدة سهلة معقولة، عملية فى جوهرها، ملائمة لجميع أحوال الشعوب وعاداتهم، عقيدة صحيحة يقف بها المخلوق أمام الخالق دون أن يكون بينهما وسيط، فأخذ يزن الأمور ويبحث حتى تبين له أن الإسلام عقيدة دينية صحيحة بريئة من اتهامات المغرضين من المستشرقين المتحاملين على

الإسلام والمسلمين. وكان من التوفيق أن يسافر إلى الجزائر وخالط المسلمين هناك، فوجد أن العقيدة المحمدية لا تقف عقبة فى سبيل التفكير، وأنها صالحة لجميع الشعوب والأزمان، وأن هذا الدين صالح لكل العقليات، فقرر اعتناقه بكل اقتناع(٦٢).

- ومن أبرز المستشرقين الألمان الذين أنصفوا الإسلام والمسلمين، **المستشرقة الألمانية أنا مارى شيمل، والمستشرق مراد هوفمان.** فلقد كانت شيمل نموذجًا للذين أحبوا، بصدق، الحضارة الإسلامية ووقفوا على الإسهامات العظيمة التى قدمتها للإنسانية وقدموا من خلال دراساتهم وأبحاثهم خدمات رائعة للإسلام، كما كرست حياتها لإزالة الشكوك لدى الغربيين حول الدين الحنيف وتوفيت فى ٢٧ يناير٢٠٠٣م عن عمر يناهز الثمانين عامًا، بعد أن كانت بحق نموذجًا لمن درس الإسلام دراسة علمية موضوعية بعيدة عن التعصب والهوى، بل إنها كانت من المدافعين عن الإسلام والمنصفين للمسلمين فى مجتمعات عز أن يوجد بها كثيرون من أمثالها(٦٣).

أما الدكتور **مراد ويلفريد هوفمان**، فقد ولد عام ١٩١٠ وحصل على الدكتوراه فى القانون من إحدى جامعات الولايات المتحدة. نشأ كاثوليكيا وعمل خبيرًا نوويًا فى حلف الأطلنطى، كما عمل سفيرا لبلاده فى الجزائر والإمارات والسعودية لسنوات طويلة أتاحت له دراسة الإسلام من مصادره الأصلية، خاصة بعد أن تعلم اللغة العربية. وأخيرا اعتنق الإسلام وأصبح واحدا من أشهر المنصفين للإسلام والمسلمين فى الغرب، وقد شرح أفكاره فى عدة كتب ترجم



بعضها إلى اللغة العربية، و منها: «الإسلام كبديل» و«يوميات ألمانى مسلم» و«الإسلام فى الألفية الثالثة» و«رحلتى إلى مكة»، و«خواء الذات والأدمغة المستعمرة». وهو يتحدث عن الإسلام بعقلانية ولا يستخدم الألفاظ الرنانة ذات التأثير العاطفى، ولكنه يعتمد على المنطق، وعلى الوقائع والحقائق التاريخية. وهو كثير الأسفار فى أنحاء أوروبا وأمريكا للمشاركة فى الحوارات التى تنظمها الجامعات ومراكز البحوث، فى مؤتمرات إسلامية عالمية، فهو من المدافعين عن الإسلام بالأسلوب الذى يفهمه الغرب. كما شارك فى مؤتمرات إسلامية وفكرية عديدة بمصر والسعودية.

وسوف نعرض فيما يلى لأبرز آراء هوفمان المنصفة للإسلام والمسلمين ونفند افتراءات وأباطيل المستشرقين المغرضين حيالهم، والتى وردت فى كتبه، سالفة الذكر.

ففى كتابه «الإسلام كبديل» أراد هوفمان مواجهة الأحداث الكثيرة التى يتعرض لها العالم الإسلامى، وتوجيه الأنظار فى الغرب إلى أن قلة قليلة من المؤلفين الغربيين تهدف فى تناولها للإسلام إلى التركيز على الأساس الروحى لهذا الدين، وهو يدعو القارئ إلى فك الحصار المضروب حوله من الكتب الكثيرة التى تثير فيه الخوف من الإسلام وتربطه بالأصولية، والتعصب، والحرب المقدسة، وسيوف الإسلام؛ لأن هذه الكتب تهدف إلى أن يكون لدى القارئ الغربى استنتاجات سطحية عن طبيعة الدين الإسلامى. ويقول هوفمان إنه رأى أن يؤلف هذا الكتاب - وهو ألمانى مسلم - لشرح المفاهيم

الإسلامية الخلافية المثيرة للجدل فى الغرب، فهو دعوة على أساس علمي مؤيدة بالتاريخ والحاضر. ويقول فى مقدمة الكتاب أيضا: «إن مرحلة الصراع بين العالم الغربى والشيوعية على قيادة العالم قد انتهت، وكان من الممكن اعتبار الإسلام فى تلك المرحلة نظاما ثالثا بينهما، ولكن بعد أن انتهت الشيوعية أصبح الإسلام البديل للنظام الغربى، وبعض المراقبين بعيدى النظر يتوقعون أن يصبح الإسلام الديانة السائدة فى القرن الحادى والعشرين»، ولهذا اختار لكتابه عنوانا يعبر عن هذا الاتجاه.

وقد كتبت المستشرقة الألمانية أنا مارى شيمل مقدمة للكتاب قالت فيها: «إن جهل الغرب بالإسلام هو الذى يولد الخوف منه والكراهية له؛ لأن الناس أعداء ما جهلوا، كما قال على بن أبى طالب، وما ينشر فى الصحافة الغربية عن العالم الإسلامى ليس دائما موضوعيا ومحايدا، ولكن المراسل الصحفى أو مسئول التليفزيون يختار ما يؤيد اتجاهه، وتكون النتيجة تكوين صورة ذهنية زائفة عن الإسلام والمسلمين. والإسلام بالذات مثال نموذجى للالتباس وسوء الفهم فى الغرب. ففى القرن التاسع عشر كان الرسامون يصورون المسلمين محاربين متوحشين، غارقين فى شهواتهم مع «الحريم». واليوم أصبحت صورة المسلم هى صورة متعصب إرهابى عديم الرحمة يطلق لحيته ويبرر وحشيته بالقرآن والسنة. وكلتا الصورتين لا تمثل الحقيقة، وفى استطاعة من درس الثقافة الإسلامية، أو عاش بين المسلمين، أن يصححها»(٦٤).



وفى **تحليلهما لأسباب كراهية الغرب للإسلام،** يرجع مراد هوفمان إلى الفترة التى تفوق فيها المسلمون على الغرب عسكريا وثقافيا. فقد عبر المسلمون مضيق جبل طارق عام ٧١١م وأسسوا دولة الإسلام فى الأندلس التى ازدهرت فيها العلوم والفنون والثقافة، وفى نفس الوقت امتدت امبراطوريتهم إلى وسط آسيا وجنوبها حتى الهند. وكانت الأندلس هى الجسر بين أوروبا والعالم الإسلامى، والذى انتقلت منه العلوم والحضارة الإسلامية إلى أوروبا، وعاش فى ظل هذه الحضارة الإسلامية المسلمون والمسيحيون واليهود فى توافق لم نر له مثيلا. وتشير البرفيسورة أنا مارى شيمل إلى مسألة دقيقة، هى أن ترجمات معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية تفقدها جمال اللغة ودقتها وإيقاعها، ولا تستطيع الترجمة أن تحافظ على روح ومفهوم النص القرآنى، فالقرآن كلام الله، وله خصائص تميزه يصعب نقلها كما هى فى لغة أخرى، ولذلك لا يفهم القارئ غير العربى القرآن. وكما أسيء تقدير القرآن لعدة قرون أسيء تقدير النبى محمد (ﷺ)، وهو النموذج الأمثل للمسلم الحق. وعلى سبيل المثال، هاجم رهبان الكنيسة فى العصور الوسطى زواجه بعدة نساء، ولم يدركوا الحكمة فى ذلك، وكان ذلك قبل أن تعترف الكنيسة بزواج الشواذ. كما لم يتحدثوا عن داود النبى الذى يعتبرونه النبى الكامل فى تاريخ البشرية وقد كانت له عشرات الزيجات.

لكن هوفمان – بعقليته الناقدة – يرى أن من أسباب سوء الفهم فى الغرب ما رأوه لدى المتصوفة من الأساطير حول النبى محمد (ﷺ)، الذين ادعوا عليه أنه ليس بشرا ولكنه نور، وأنه أول خلق الله قبل

آدم ، بل قال بعضهم إنه هو القصد من خلق الكون ، بينما يكرر القرآن وتكرر الأحاديث أنه بشر كسائر البشر إلا أن الله اختاره لينزّل عليه رسالته، وقد عاش كما يعيش الناس، ومات كما يموتون ، وتألم كما يتألمون ، وتحمل الأذى ، وكان مثالا للقوة الروحية المؤمنة بأن الحق معها.. فهذا التصوير غير الإنسانى عند بعض المتصوفة أدى - من وجهة نظر هوفمان - إلى تصور بعض الغربيين بأن هذا الدين مجموعة أساطير. وسبب آخر لسوء الفهم - كما تقول شيمل - هو ميل الغربيين إلى النظر إلى كل شيء من منظور القيم الغربية، ومثال ذلك استنكار تغطية المرأة المسلمة شعرها، مع أن المرأة اليهودية المتدينة تغطى شعرها، ومازال الطالب اليهودى يذهب إلى جامعة هارفارد وعلى رأسه الطاقية التقليدية، وتتساءل شيمل، لماذا لا يقبل الغرب أن تغطى المرأة المسلمة شعرها؟!

ويناقش مراد هوفمان فكرة أن الإسلام يحرض على إعلان الحرب على المخالفين له ويعتبر أن تلك هى «الحرب المقدسة» فيقول: «إن تعبير الحرب المقدسة هو فى الأصل تعبير مسيحى النشأة انتشر أيام الحروب الصليبية، أما المصطلح الإسلامى «الجهاد»، فهو يعنى أولا: جهاد النفس ضد الشهوات، ويعنى ثانيا: الدفاع عن العقيدة أو محاولة نشرها»(٦٥).

وتقول أنا مارى شيمل إن إلصاق الإرهاب والأصولية بالإسلام فى الوقت الحاضر يمثل مأساة؛ لأن الأصولية ما هى إلا مصطلح من التاريخ الدينى فى أمريكا، ثم تتساءل مستنكرة، هل نلصق الإرهاب



بالمسيحية كلما وقع حادث دموى فى أوروبا أو أمريكا؟!. ويعلق عادل المعلم على ذلك بأن الغرب لم يستخدم أبدا مصطلح الأصولية الكاثوليكية أو الأرثوذكسية أو البروتستانتية أو اليهودية رغم وجود جماعات دينية أمريكية متشددة قامت بتفجيرات فى أمريكا، ومنها تفجير مبنى أوكلاهوما عام ١٩٩٥ الذى بلغ عدد قتلاه ٢٠٠٥ قتلى، ولم يتحدث أحد فى الغرب عن مذابح الأصوليين اليهود ضد الفلسطينيين.

وتضيف الدكتورة أنا مارى شيمل أسبابا وتفسيرات أخرى لعداء الغرب وسوء فهمه للإسلام، فترى أننا لكى نفهم الأسباب العميقة للعداء للإسلام فى الغرب يجب أن نتذكر دائما حصار الأتراك للعاصمة النمساوية فيينا عام ١٥٢٩ وعام ١٦٨٣، وما تركه ذلك من خوف لا ينسى عند الغربيين تجاه دين العرب والأتراك والفرس والباكستانيين والمالاويين.. إلخ. وحتى المثقفون فى الغرب فإنهم لا يعلمون عن كنوز الحضارة الغربية سوى القليل، ونادرا ما تجد من يعلم منهم بأن قصر الحمراء فى الأندلس الذى يعتبر معجزة فى البناء، وتاج محل الذى يعتبر من عجائب الدنيا السبع من أعمال المهندسين المسلمين. وقليل فى الغرب الذين يعلمون كيف يبجل المسلمون المسيح وأمه السيدة مريم. وترى أنا مارى شيمل إن كثيرين فى الغرب يعتقدون أن الإسلام من بقايا العصور الوسطى التى عفا عليها الزمن، ولكنهم- لو علموا حقيقة الإسلام- فسوف يكتشفون أنه دين حى يساير الزمن ويستحق أن نزداد فهما له(٦٦).

ويؤرخ مراد هوفمان للعلاقة بين الإسلام والغرب بالرسائل التى أرسلها رسول الإسلام محمد (ﷺ) إلى النجاشى ملك الحبشة، وكسرى إمبراطور فارس، وهرقل زعيم الروم الشرقيين، وإلى المقوقس فى مصر.. وكان ذلك فى السنة السادسة من الهجرة بعد صلح الحديبية، وفى هذه الرسائل دعاهم للدخول فى الإسلام. فذلك خير لهم ولشعوبهم وبدأت هذه الرسائل برسالة إلى هرقل، ومنذ ذلك الوقت استمرت المواجهة بين الغرب والإسلام، وظل كل منهما يتوجس خطر الآخر ولا يفهمه، رغم بعض الإيجابيات فى العلاقات الاقتصادية والفكرية.

وجاءت الفتوحات الإسلامية السريعة لتغذى هذه المخاوف، فقد دخل الإسلام الشام وفلسطين عام ٦٣٤م، وفارس عام٦٣٧م، ومصر، وأرمينيا، وقبرص عام ٦٥٣م، والمغرب عام ٦١٠م، وإسبانيا عام٧١١م، وبعض مناطق فى الصين عام ٧١٥م. وفى ألمانيا يوجد قصر على الطراز العربى على بعد ٢٠ كيلو مترا من ميونيخ، وعلى مدخله شاهدان باللغة العربية باسم رجل مسلم وابنته وتاريخ وفاتهما فى مطلع القرن الهجرى الثالث، وضرب المسلمون حصارهم الأول على القسطنطينية عام ٦٧٢م وكان فى مقدمة الصفوف الصحابى المعروف أبو أيوب الأنصارى الذى استضاف محمدا (ﷺ) فى بيته يوم قدومه المدينة، ومازال قبر الصحابى الجليل فى القسطنطينية، وكانت هذه الفتوحات سببا فى تشبث الغرب بدعوى انتشار الإسلام بالسيف، إلا أن ما يلفت النظر أن أعداد الجيوش الإسلامية كانت أقل من جيوش هذه



الدول، مما يدل على أن أهل هذه البلاد تقبلوا الإسلام بالرضا وانضموا تحت لوائه. ويجب ألا نغفل أن الإسلام انتشر فى مناطق كثيرة فى إفريقيا وغيرها بدون الحروب.

على الجانب الآخر، بدأت الحروب الصليبية فى القرن الحادى عشر واستمرت فى موجات متتالية حتى القرن الثالث عشر، وبدأت محاولات أوروبا استرجاع إسبانيا والبرتغال وسجل التاريخ أن المسيحيين فى القسطنطينية لاقوا أشد المعاناة على يد الغزاة، ولم يكن الغزاة هم المسلمين، بل كانوا من المسيحيين اللاتين، وقد نهبوا وسلبوا واغتصبوا، وبعد ذلك جاء الدور على الغرب عندما وصلت جيوش الإمبراطورية العثمانية إلى القسطنطينية عام ١٤٥٣م وحاصرت قواتهم فيينا مرتين فى عامى ١٥٢٩م و١٦٨٣م وبدا فى القرن الثامن عشر وكأن هذا الصراع قد انتهى وسار كل منهما فى طريق. سار الغرب فى طريق يطور فيه العلوم والتكنولوجيا تطويرا هائلا، حقق له تفوقا كاسحا فى الاقتصاد والقوة العسكرية، وقد رأى البعض أن ذلك التقدم بسبب تفوق الحضارة المسيحية، وسار العالم الإسلامى فى طريق العجز والركود وأصبح لقمة سائغة للاستعمار الغربى، حتى إذا جاء القرن العشرون ظهرت الحضارة الغربية على أنها النموذج المثالى، الذى يجب على الجميع الاقتداء به، وبدأت عملية نشر الثقافة الغربية فى العالم فيرتدى الجميع الجينز، ويأكلون الهامبورجر، ويشربون الكوكاكولا، ويدخنون المارلبورو، ويتحدثون الإنجليزية، ويشاهدون شبكة (سى. إن. إن) ويسكنون بيوتا على نفس الطراز الغربى.

وحين يبحث د. مراد هوفمان عن أسباب تدهور العالم الإسلامى يرى ثلاثة أسباب لذلك: **السبب الأول**، أن العالم المسيحى والمغول ضربوا عصب الحياة الفكرية والثقافية فى العالم الإسلامى بداية من قرطبة عام ١٢٣٦م، ثم بغداد عام ١٢٥٨م. ومازال الغرب يضرب الحياة الفكرية والثقافية فى العالم الإسلامى حتى اليوم ولم تسترد الحياة الفكرية فى العالم الإسلامى عافيتها من هذه الكارثة.

السبب الثانى، هو غلق باب الاجتهاد فى الفقه الإسلامى منذ سادت فكرة وصول الفقه إلى منتهاه، وسادت مدرسة تقليد الأجيال السابقة من الفقهاء؛ لأنهم أكثر قربا للمصدر وأكثر فهما لمقاصد الشريعة، وبذلك ساد الجمود فى العالم الإسلامى، وانتهى عصر الاجتهاد والإبداع والتفكير وعاش المسلمون فى عصر التكرار والتقليد.

أما **السبب الثالث**، فهو أن الغرب منذ القرن التاسع عشر وقع أسير الطفرة المادية الهائلة، وأدى ذلك إلى تراجع فى الإيمان المسيحى، وأصبحت الحياة الدنيا هى محور التفكير والعمل، وظهر فى هذه الفترة فلاسفة الشك والإلحاد مثل: فيورباخ، وماركس، وداروين، ونيتشه، وفرويد، وساد المذهب الكمى الذى لا يعترف إلا بما يمكن قياسه وإدراكه بالحواس، وأصبح الإيمان بالله مجرد احتمال.. وأصبح الغربيون فى تلك الفترة يعبدون القوة، المال، الجنس، والجمال، ورأوا أن العلم لا يقدم إجابات عن معنى الحياة فأغفلوا البحث فيها. وبذلك وقعوا فى اللذات الحسية، وأصبح غاية همهم: معدل النمو، والكفاءة، والحصول على أقصى ربح بأقل تكلفة، وشاع



فى الغرب النهم الاستهلاكى بغير حدود. وقد وصف ذلك ألفريد مولر فى كتابه «الدين والاقتصاد» عام ١٩٥٩ بقوله: «أنكر الإنسان الغربى الله، فاضطر إلى صنع آلهة أخرى يعبدها، وكان ذلك ثمن إنكار الإله الحق، وتاريخ الانحراف عن الحق هو تاريخ قوى الشر المدمرة، ولا يكمل تاريخ الإيمان إلا بذكر تاريخ إنكار الإيمان»(٦٧).

ويستطرد مراد هوفمان فى وصف الحالة الإسلامية والغربية فيؤكد أن القرن العشرين قد شهد فى عقدى الستينيات والسبعينيات منه نقطة تحول كبيرة فى الغرب وفى العالم الإسلامى، فقد بدأت الأزمات فى العالم الغربى، بينما بدأت الحيوية تعود إلى العالم الإسلامى، وأدى ذلك إلى حالة من الرعب فى الغرب. وبدأ العلماء يتحدثون عن انهيار الغرب، كما لاحظ علماء الاجتماع مثل دانيل، بل إن التفوق الاقتصادى للرأسمالية العالمية أدى إلى تقويض الأساس الأخلاقى لها، بحيث انحرفت النزعة الفردية إلى حالة مرضية أقرب إلى النرجسية، وأصبح مفهوم استقلال الشخصية يعنى الفوضى الأخلاقية، وتحولت النزعة إلى التحرر إلى تكريس الفسق، وأصبح مفهوم الحب مقصوراً على الجنس، والمرونة أصبحت تعنى التحلل من التقاليد، وكما قال مارسيل بوسو فى عام ١٩٨٤، فإن تلك الانحرافات أصبحت من لوازم الغرب نتيجة إساءة فهم العقل، والحرية، والحب. ونتيجة لهذه الموجة من التحلل ظهرت جماعات رافضة للمجتمع تبحث عن بديل للنظام القائم على المادية والحرية بالمفهوم السائد. هذه الجماعات تعبر عن شعورها بالقلق، وعدم الأمان، بسبب سيطرة التكنولوجيا والاستهلاك وتأليه العقل، وبخاصة فى الاقتصاد وسباق التسلح والردع النووى.

ويرى هوفمان أن الأزمة التى يعيشها الغرب الآن نتيجة وقوعه فى مصيدة المادية والتطلعات الغرائزية جعلته لا يشعر بالاكتفاء أبدا، فالفرد فى الغرب لديه تأمين مادى من مولده إلى مماته، والحرية الجنسية بلا حدود، والمخدرات جاهزة تحت الطلب، وأوقات الفراغ طويلة، ومع ذلك فإنه يشعر بالفراغ، ويفتقد دفء المشاعر الإنسانية، كما يفتقد المعنى لحياته. وتلك هى الخلفية للعودة إلى الدين، وعودة الجاذبية إلى الكنيسة، وعاجلا أو آجلا سوف يلتقى هذا التيار الباحث عن الحقيقة بالإسلام. وإن كانت هناك بعض القوى تستغل الإسلام لتحقيق أهداف سياسية، وتصرفات البعض فى العالم الإسلامى أضرت بالإسلام أكثر من أى شىء آخر فى القرن العشرين. وهناك من استغل ذلك لتصوير الإسلام فى الغرب على أنه الشيطان.

وفى كتاب «الإسلام كبديل» ، يقدم مراد هوفمان للقارئ الغربى القيم والمبادئ الأساسية للإسلام فيقول: «إن بساطة تعاليم الإسلام أدت إلى سرعة انتشاره، فليس فى هذا الدين أسرار يختص بها البعض دون سائر المؤمنين به، فلكى تكون مسلما عليك أن تؤمن بإله واحد منزه؛ لأن هذا الكون لابد له من صانع، وتؤمن بأن الله أوحى لرسوله محمد (ﷺ) برسالته. وعليك أن تؤمن بأن محمداً (ﷺ) خاتم الأنبياء بعد سلسلة الأنبياء السابقين عليه، وعليك أن تؤمن بوجود الملائكة، وبجميع الرسل والكتب السماوية، وتؤمن بالبعث للحساب بعد الموت، وتؤمن بالقضاء والقدر، وتتبع الوصايا العشر التى أنزلت على النبى موسى، وبالمحبة التى جاء بها المسيح، وبكل ما جاء فى الشرائع السابقة ما لم ينسخه القرآن. وعليك أن تصلى خمس صلوات



فى اليوم، وتخرج الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج إذا استطعت، والإسلام فى جوهره علم وعمل، ولذلك تتكرر فى القرآن الآيات التى تقرن الإيمان بالعمل الصالح».

ويرى مراد هوفمان أن المستشرقين حاولوا إثبات أن القرآن ليس من عند الله وفشلوا، كما فشلوا فى إثبات حدوث تغيير فى أى حرف أو كلمة فيه، وقد يرفض غير المسلم محتوى القرآن، ولكنه لا يستطيع أن يتجاهل تأثيره الخلاب على قارئه والمستمع إليه، ويجد الباحث أن فى القرآن إشارات علمية لم تكن معلومة فى هذا الزمان، ثم ثبت صدقها مؤخرا، لكنها لا تعنى اعتباره موسوعة علمية. والقرآن هو الكتاب الوحيد فى العالم الذى يحفظه ملايين البشر عن ظهر قلب، ولغة القرآن هى العربية التى تجمع العالم الإسلامى الذى يزيد على ١٢٠٠ مليون مسلم، والقرآن هو الذى حافظ على اللغة العربية بقواعدها وكلماتها، ولذلك فهى اللغة الوحيدة فى العالم التى كتب بها القرآن منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، ولا يزال مئات الملايين من عامة أهلها يستطيعون قراءته دون تأهيل بدراسات خاصة ودون ترجمته إلى اللغة المتداولة الآن عند العرب، فلغة القرآن هى اللغة التى يتكلم ويكتب بها العرب حتى اليوم. ولأن قراءة القرآن على أسس غير صحيحة تؤدى إلى نتائج عكسية فقد جاءت السنة شارحة ومفصلة للقرآن، وكثيرا ما يؤدى عدم الإحاطة بالأحداث التى نزلت فيها آيات، أو عدم الأخذ بكامل السياق القرآنى إلى افتقاد الصواب فى الفهم، ويختلف المفسرون للقرآن حسب مناهجهم ومذاهبهم.

وقد غالى البعض فى اتباع الأمر الإلهى بطاعة محمد (ﷺ) واتباع سنته، فرأوا أن يقلدوا كل ما كان يفعله، حتى ما لا يتعلق بالرسالة ويتعلق بشخصيته الإنسانية مثل تفضيل بعض أنواع الطعام، وإطلاق اللحية، واستخدام السواك فى تنظيف الأسنان. كما يغالى البعض فى تمجيد محمد (ﷺ) وتقديسه خاصة فى احتفال المولد النبوى بصورة لا تخلو من الزلل، رغم أنه أكد مرارا على أنه بشر، وقال لرجل شعر بالهيبة فى حضرته: «إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد فى مكة»، كذلك أكد القرآن على هذا فى آيات عديدة منها: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، ومع ذلك تجد بعض المفسرين ينكرون صفته البشرية ويقولون إنه نور، والبعض قال إن العالم خلق من هذا النور، وإن العالم خلق من أجله، ونسجوا حوله الأساطير، وتلك ظاهرة نجدها فى جميع الأديان نتيجة الحماس الزائد.

ويستكمل هوفمان شرحه للإسلام فيؤكد أنه يتفق مع المسيحية فى الدعوة إلى الفضائل مثل الأمانة، والتقوى، والإيثار، والإخاء، ويختلف عنها فى أن المسلم يصلى لله مباشرة ويتعامل مع الله دون كهنوت، ويحرّم أكل الخنزير والمسكرات ولا يسقط المسئولية عمن يرتكب خطأ وهو تحت تأثير الخمر أو المخدرات. وتحافظ الصلوات الخمس من خلال الخشوع والتأمل على الصحة النفسية للمسلم، ولم يحرّم الإسلام الجنس على أحد من المسلمين، بل أمر بالزواج، وحرم العلاقات خارج الزواج، فهو دين لا يؤدى إلى كبت الغريزة ولا يسمح بالإباحية. ويقول الإسلام: «إن الإنسان خليفة الله على الأرض، وبأن كل إنسان مسئول عن نفسه فقط، لا يرث الخطيئة ممن سبقوه،

ولا يورثها لمن يأتون بعده، وحساب الله لكل إنسان على حدة، ولا ينفع الأب ابنه أو الابن أباه فى يوم الحساب» ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾، ولا ينحصر منهاج المسلم فى العمل والربح، بل إن الإسلام يدعوه إلى مراعاة الأهداف الاجتماعية، بحيث يكون المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا، ويشدد على مسئولية الإنسان عن والديه وجيرانه أيضا.

وأخيرًا، يؤكد هوفمان أن الإسلام له موقف فريد من أصحاب العقائد الأخرى، ينفرد به وحده، وهو التسامح مع المختلفين معه والمؤمنين بعقائد تتعارض مع عقيدته، ويتلخص ذلك فى آية تقول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، وهذا يعنى أن الإسلام فى جوهره دعوة للتعايش السلمى مع المختلفين معه فى الفكر والعقيدة. ويرى هوفمان أن الإنسان فى الغرب يدهش عندما يسمع المسلم كلما نطق اسم محمد يقول: «عليه الصلاة والسلام»، ويفعل ذلك أيضا كلما ذكر اسم عيسى، وهذا تطبيقا للمبدأ القرآنى ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾؛ أى أن الإسلام لا يبنى صلاحيته على إنكار الديانتين اليهودية والمسيحية، ويدهش الإنسان الغربى عندما يعرف أن الإسلام لا يعتبر نفسه دينا جديدا، ولكنه تكملة وإتمام للرسالات السابقة عليه جميعا، وذلك فى الآية: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤]. وقد ذكر القرآن موسى وعيسى «عليهما السلام» فى مواضع كثيرة وذكر معجزاتهما ولم ينكرها(٦٨).

ويناقش هوفمان ما يشاع عن الإسلام من ابتعاده عن العلم والمعرفة الإنسانية ، فيقول:

«إن الإسلام ينهى بشدة عن التنصت، والتجسس، ومضايقة الجار، وإذا طرقت الباب ثلاث مرات ولم يجبك أحد فانصرف ودع أهل البيت فى حالهم، ولكنه يشجع على التعطش للمعرفة والفضول العلمى، فالقرآن يدعو فى آيات كثيرة إلى استخدام العقل، وإلى التفكير، والتدبر، وفى السنّة كثير من الأحاديث تحرّض المسلم على طلب العلم، فالعلماء هم ورثة الأنبياء، ومن سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا من طرق الجنة، وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وقد أدرك المسلمون ذلك وبدءوا من القرن الثامن الميلادى إنجازاتهم العلمية الهائلة».

ويكتفى هوفمان بأربعة عشر من علماء المسلمين الذين أحدثوا ثورة فى العلوم لإنجازاتهم الرائدة مثل: ابن فرناس (المتوفى عام ٨٨٨م) أول من فكر فى الطيران باستخدام آلية من الأجنحة. محمد بن موسى الخوارزمى (المتوفى عام ٨٤٦م) مؤسس علم الجبر واللوغاريتمات، أبو بكر الرازى (المتوفى سنة ٩٣٥م) الذى كانت كتاباته هى الأساس فى جامعات أوروبا وظلت كذلك لعدة قرون، ابن سينا (المتوفى عام ١٠٣٧م) صاحب الموسوعة الطبية «القانون»، التى ظلت المرجع الوحيد للجامعات الأوروبية حتى القرن التاسع عشر، الحسن بن الهيثم (المتوفى ١٠٣٩م) صاحب التراث الضخم فى علوم الفيزياء، والفلك، والرياضيات، ومؤسس علم الضوء الحديث، وكتابه

«المناظر» هو المرجع الذى استقى منه علماء أوروبا معلوماتهم عن الضوء، وترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية عام ١٥٧٢م وترك ٤٤ كتاباً فى العلوم الطبيعية والرياضة، وهو أول من قدم تفسيراً علمياً صحيحاً لظاهرة قوس قزح، وهو الذى استحدث أسماء فى تكوين العين مثل: الشبكية، والقرنية، والسائل المائى، والسائل الزجاجى، وهو الذى مهد لاستعمال العدسات لإصلاح عيوب الإبصار، وهو الذى وضع النظرية الصحيحة للإبصار، وقال إنها نتيجة سقوط الضوء من الشيء المرئى إلى عين الرائى بعد أن كان علماء اليونان وأوروبا يقولون عكس ذلك، وهو الذى أثبت أن الأشعة الضوئية تسير فى خطوط مستقيمة.

ويضيف د. هوفمان إلى هذه القائمة «أبو الريحان البيرونى» (المتوفى عام ١٠٥٠م) صاحب العبقرية المتعددة فهو مؤرخ للعلوم، ودبلوماسى، وباحث فى اللغة السنسكريتية، وفلكى، وصيدلى، وخبير بالفلزات، وله فى كل هذه المجالات إسهامات وإضافات جوهرية. عمر الخيام (المتوفى عام ١١٣١م) شاعر، ورياضى، صحح التقويم الهندى بدقة أعلى من التقويم الجريجورى. ابن رشد الفيلسوف الذى أثر تأثيرا كبيرا فى أوروبا بتعليقاته على فلسفة أرسطو، وهو الذى اكتشف البقع الشمسية. ابن بطوطة (المتوفى عام ١٣٦٨م أو ١٣٧٧م) الرحالة المغربى الذى ذهب لاكتشاف المناطق المجهولة فى العالم وذهب حتى بكين ونهر الفولجا، وفتح الطريق لماركو بولو. ابن خلدون (المتوفى عام ١٤٠٦م) الأندلسى. صاحب المقدمة الشهيرة وموسوعة تاريخ العالم، وهو مؤسس علم الاجتماع

وعلم التاريخ الحديثين، وهو الذى أحدث ثورة فى نقد المصادر وعدم التسليم بكل ما فيها دون تحقيق. أحمد بن ماجد، وهو المرجع فى عبور المحيطات فى القرن الخامس عشر. بيرى ريس (المتوفى عام ١٥٥٣م) التركى، أمير البحار والجغرافى، صاحب كتاب (البحرية) الذى مازال حتى اليوم مذهلا بما فيه من خرائط بحرية دقيقة، ورفيقه فى العلم سيدى على ريس (المتوفى عام ١٥٦٢م) الذى أتم قياس الشواطئ الآسيوية وطور علم الفلك الملاحى.

ويخلص هوفمان من ذلك إلى أن العالم الإسلامى هو الوريث للعلوم والحضارة العالمية، وهو الذى أضاف إليها إضافات كبرى، وليس العالم الغربى. وهذا ما أكده مارشال هودجون بقوله: «إن تفجر المعرفة والتكنولوجيا فى العالم الإسلامى يوضح أن التبادل بينه وبين العالم الغربى كان فى اتجاه واحد، حيث لم يكن لدى الغرب شىء يستحق الرجوع إليه. كان الغرب مستوردا لكل شىء ابتداء من تكنولوجيا طواحين الهواء، إلى فنون الموسيقى والغناء، حتى العمارة الإسلامية، وهذا ما يمكن أن نسميه بلغة اليوم - الغزو الثقافى - من العالم الإسلامى للعالم الغربى، وقد ترك بصماته حتى اليوم فى اللغة، فالغرب يستخدم كثيرا من الكلمات وأسماء العلوم بلغتها العربية الأصل مثل: الجبر، الصفر، والملغم، والكحول، والعود، والقيثارة.. الخس».

ويرجع هوفمان بداية تدهورالنهضة العلمية فى العالم الإسلامى إلى القرن الرابع عشر، وكان من بين الأسباب التى أدت إلى ذلك غلق باب الاجتهاد، وظهور «الأصولية» التى تعتمد على الحفظ

والتقليد وترفض البحث والتجديد، وأدت نظرية غلق باب الاجتهاد إلى الاعتقاد بأن كل ما يمكن أن يصل إليه العقل الإنسانى قد تحقق، ولم يعد أمام الإنسان باب للبحث عن المزيد. كما أسيء فهم الحديث **(كل بدعة ضلالة)** مع أن السنة تفرق بين البدعة السيئة والبدعة الحسنة: **(من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها)** وهذا السلاح ذاته هو الذى استخدمته الكنيسة فى العصور الوسطى ضد كل جديد باعتباره بدعة. ومازال هذا السلاح يعوق تقدم المسلمين. ومع ذلك لم تخل فترة الانحطاط من أشعة أمل بظهور رواد لحركات الإصلاح، ومنهم الإمام محمد عبده (المتوفى عام ١٩٠٥م). لكن هذه الفترة فى عمومها شهدت ندرة العلماء، حتى إنه تم إغلاق مرصد إستانبول عام ١٥٨٠م بعد عام واحد من افتتاحه، وأغلقت أول مطبعة فى العالم الإسلامى عام ١٨٤٥ بعد ١٧ عامًا من افتتاحها، وبلغ عدد تلاميذ المدارس الثانوية فى مصر عام ١٨٧٥ فى حدود خمسة آلاف فقط وعدد طلبة الأزهر أحد عشر ألفًا، ولا عجب إذ لم يفز بجائزة نوبل للعلوم إلا عالم مسلم واحد من باكستان هو عالم الفيزياء أحمد عبدالسلام. إلى أن حصل عليها أخيرًا العالم المصرى- الأمريكى المسلم أحمد زويل.

ويدلل د. مراد هوفمان على أن الإسلام لا يتناقض مع البحث العلمى فى جميع المجالات، ولكنه يعارض الاعتماد على العلم وحده بدون الإيمان؛ لأن ذلك هو ما أدى إلى ظهور الإلحاد فى الغرب، إلى حد أن الفيلسوف الألمانى نيتشه قال: «إن الله قد مات»، وأنكر العلماء

وجود الله وتدخله فى الظواهر الطبيعية، واعتمدوا على الحس والتجربة والدليل المادى، بينما المفهوم الحقيقى للإسلام أن للدين مجاله، وللعلم مجاله، ويجب أن يلتزم العلم بالقيم الأخلاقية التى جاء بها الإسلام، وقد ظهر فى الغرب أخيرًا من يؤمنون بذلك على الأقل لإضفاء الشرعية للقوة وللقانون ولتماسك المجتمع. وذلك ما أدى بعد فترة إلى انهيار الماركسية، والداروينية، والفرويدية، والنظرة القديمة للطبيعة، بعد أن أدرك العلماء أنهم اكتشفوا الكثير من الأسرار فى هذا الكون ولكنهم عاجزون عن معرفة ما هو أكثر من هذه الأسرار، فأصبحوا أكثر تواضعًا مما كانوا.

والمشكلة الأكبر- كما يراها د. هوفمان- هى أن بعض المسلمين تصوروا أن التقدم لن يكون إلا بتقليد كل ما فى الغرب، وهذا خطأ؛ لأنه قد يفقدهم أسس حضارتهم، ويجعلهم مجرد مستهلكين لما ينتجه الغرب، ولأنهم من حضارة مختلفة عن حضارة الغرب، فإنهم لا يستطيعون إتقان تقليد الغرب، وينتهى بهم الأمر إلى الإحباط أو التمزق بين حضارتين. وهذا ما أدى إلى ظهور تيار مضاد يرفض كل ما فى الغرب من علوم وتكنولوجيا؛ لأنه ظهر فى محيط الإلحاد والشك، أما العقلاء من المسلمين فقد أعلنوا أن العلم محايد، وعلى المسلم أن يستفيد من كل ما فى العصر من علوم، ولا يرفض كل ما فى الغرب جملة وتفصيلاً بما فيه من خير وشر، ولكن العقل يقضى على المسلم أن ينفتح على العالم كما فعل الأوائل، وأن يأخذوا النافع من الحضارة الغربية، ويحتفظوا فى نفس الوقت بجوهر الإسلام.



ويناقش د. هوفمان موضوع التسامح فى الإسلام فى ضوء ما يثيره كثيرون فى الغرب من أن الإسلام دين يدعو أتباعه إلى العنف فيشير إلى الآيات التى تؤكد روح التسامح مثل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، [المائدة: ٤٨]. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، [يونس: ٩٩] . و﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾، [الكهف: ٢٩]. و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾، [يونس: ١٠٨] . و﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، وتكررت فى سورتى النور والعنكبوت وغيرهما. وتمثل الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، القلب فى هذا التسامح وقبول الاختلاف على أنه من سنن الكون، وكذلك الآية: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

ويمتد التسامح حتى مع المرتد، فهناك فرق بين من يهجر الإسلام فى هدوء، وبين من يقوم بعد ارتداده بنشاط معاد للإسلام. فإنه فى هذه الحالة يستحق عقوبة تماثل عقوبة الخيانة العظمى. وهذا المفهوم هو الغالب الآن على آراء معظم رجال الدين الإسلامى. ومع ذلك فإن تاريخ البشرية لم تخل منه فترة لم يشهد فيها إرهابًا سياسيًّا أو مذهبيًّا ذا صبغة دينية، وليس للإسلام علاقة بذلك الإرهاب، تمامًا كما أن المسيحية ليست لها علاقة بحرب العصابات فى شمال



أيرلندا، أو بالجيش الأحمر فى ألمانيا، أو بالألوية الحمراء فى إيطاليا. كما لا يمكن نسبة ممارسات العنف والظلم من الاستعمار الغربى إلى المسيحية. ولكن ذلك لا يمنع من الاعتراف بأن هناك ميلاً للعنف فى بعض الدوائر الإسلامية، ففى بعض البلاد الإسلامية جماعات تتولى عقاب من يفطر جهارًا فى رمضان، وتضرب من لا يذهب إلى المسجد للصلاة فى وقتها جماعة، أو تستخدم العنف ضد النساء اللاتى لا يرتدين الحجاب، وأمثال هذه الممارسات هى التى تجعل كثيرًا من الغربيين يخافون من الإسلام ويرون أنه ضد الحرية الفردية وهى أساس الحضارة الغربية، بينما يقوم الإسلام أساسًا على مبدأ الحرية الفردية والمسئولية الفردية أمام الله وحده فيما يتصل بشئون العقيدة والعبادات، وهذا ما أمر به الله المسلمين فى قوله: ﴿لاَ إِكْرَاه فِى الدِّينِ﴾ لتكون أساس علاقة المسلمين بغير المسلمين، وأساس علاقتهم ببعضهم البعض.

وأيضا لا يمكن إنكار أن بعض الجماعات تفهم ما جاء فى القرآن عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على أنه أمر للمسلمين بأن يتحولوا إلى جواسيس على بعضهم البعض وعلى بقية الناس، وأن يتولى كل مسلم مسئولية العقاب وإقرار العدالة والنظام على الآخرين، وأن يجمع كل من شاء منهم سلطات التحقيق والاتهام وتنفيذ الأحكام، وهؤلاء ينتهكون المبادئ الإسلامية الأساسية وهى أن المجتمع الإسلامى ليس فيه سوى سلطة واحدة هى الحكومة، والحاكم هو المسئول أولاً وأخيرًا. واستخدام العنف فى أمور العقيدة والعبادات يؤدى إلى النفاق. والمجتمع الإسلامى لا يقوم على حشود المنافقين،

والأعمال بالنيات كما قرر القرآن ، وهذا يعني أن الإجبار لا يفيد ولابد أن يكون كل عمل صادرًا عن إرادة حرة واختيار. وفى الحديث الصحيح (الدين النصيحة) وهذا هو المعنى المقصود بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وإذا كان القرآن لم ينص صراحة على عقاب دنيوى للمرتد، فكيف يتولى البشر عقاب من يرتكب أعمالاً، مهما بلغت، فهى أقل شأنًا من الردة، والمقرر لدى غالبية الفقهاء أن معظم ما نهى الله عنه لم يحدد له عقابا دنيويا ، فليس من اختصاص الغيورين على الدين أن يقيموا هم الحق والفضيلة بالعنف بدون نص ، والدولة الإسلامية لا تفرض عقيدة أو منهاجًا على المقيمين فيها ، وفرض الأفكار والأعمال على الناس لابد أن ينتهى إلى دولة استبدادية تمارس سلطة إلهية. ولا يتفق مع العقل أن الله سمح لغير المسلمين بحرية الفكر وحرية العقيدة، ويمنعهما عن المسلمين.

والخلاصة التى وصل إليها د. هوفمان فى هذا الخصوص أن مسئولية كل مسلم أن يقيم العدل والحق فى حدود سلطاته كما جاء فى الحديث: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وفصّل الحديث هذه المسئولية بأن يقيم المسلم العدل والحق فى نفسه وفى عائلته، ومدير العمل فى نطاق عمله، ورئيس الدولة فى حدود الدولة، بحيث لا يتجاوز أى منهم حدود اختصاصه. . وإلا تحولت الدولة فى المجتمع الإسلامى إلى دولة فاشية حتى لو حكمها رجال الدين.

ويردُّ د. هوفمان على الاتهام الشائع فى الغرب عن الإسلام بأنه دين يدعو إلى القتل والرجم والجلد وقطع الأيدى وأن ذلك يتعارض

مع القيم والمبادئ الإنسانية فيقول: «إن القوى المعادية للإسلام تنشر فى الغرب قصص الرعب التى تنسبها للإسلام، بينما لم يرد فى القرآن عقوبات دنيوية إلا على ست جرائم، ومع أن القرآن يحرم صراحة شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ولكن لم يرد فيه نص صريح يحدد العقوبة لمن يخالف ذلك، وتوعد المخالفين بالعقوبة فى الآخرة. والجرائم الست هى: قطع الطريق، والسلب والنهب بالقوة، والخيانة العظمى، وقذف المحصنات، والزنا، والسرقة. ويعاقب على الجرائم الثلاث الأولى بالإعدام ولكنه يفتح الباب فى حالة العفو أو قبول الدية، وعقوبة الرجم على جريمة الزنا مع تشديد فى إجراءات ثبوت التهمة، فبينما يكون الإثبات فى مسائل المال بشاهدين تتوافر فيهما صفة العدل، فإن الأمر يختلف فى إثبات جريمة الزنا؛ إذ يشترط شهادة أربعة شهود حسنى السمعة، وإذا لم يؤخذ بشهادة أحدهم يعاقب الباقون بالجلد. وبديهى أن يكون الاتهام بالزنا نادرًا، وإذا اعترف المتهم فإنه يستطيع العدول عن اعترافه بناء على نصيحة القاضى، وعلى القاضى أن يعرض عليه ذلك، وعلى ذلك فإن قصة رجم إحدى الأميرات المسلمات التى اتخذتها أبواق الدعاية المعادية للإسلام وسيلة لتشويه الإسلام فى الثمانينيات بصورة فيها الكثير من المبالغة، لم تكن تحدث لولا أنها مع شريكها أعلنا تحديهما الصارخ للنسيج الاجتماعى فى الإسلام بارتكابهما تلك الجريمة باستهتار وعناد وفى العلن. وفى ذلك نشر للفاحشة كما جاء فى القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾، [النور: ١٩]. وهكذا فإن رجم الزانى أبعد ما



يكون عن أن يعتبر ظاهرة إسلامية، ولم يحدث سوى مرات قليلة تعد على أصابع اليد على مدى أكثر من ١٤٠٠ عام».

ويعلق د. هوفمان على ذلك بأن الرجم كان هو الحكم الأصلى فى شريعة موسى، والنص عليه فى سفر التثنية، الإصحاح الثانى والعشرين، ثم جاءت سورة النور بنسخه وجعلت العقوبة الجلد، وفى عقوبة قطع الأيدى فإن لها شروطًا تجعل تطبيقها مستحيلاً، فهذه الجريمة لها أركان محددة: أن يكون الشيء المسروق محفوظًا فى حرز بعيدًا عن العيون والأيدى، وأن تكون له قيمة، وألا يكون للسارق شبهة حق فيه، وأن يكون لدى السارق ما يكفيه وهو ما أسماه الفقهاء حد الكفاية، وأن تكون السرقة فى وقت ليست فيه ضائقة اقتصادية ولا حالة حرب و.. و.. وألا تكون المصادفة هى التى جعلت رجلاً يأخذ شيئًا ليس له. وقد أوقف الخليفة عمر حد السرقة فى عام المجاعة، وذلك هو ما أدى إلى تطور النظرية حتى وصلت إلى صيغة واضحة الآن، وهى عدم جواز إقامة حد السرقة فى حالة الضائقة الاقتصادية. وقد شرح الباحث الأمريكى المسلم محمد أسد ذلك بقوله: إن حد السرقة لا يطبق إلا عندما يكتمل النظام الاجتماعى. ويردُّ د. هوفمان على الذين يقولون بأن عقوبة قطع اليد ليست إنسانية فيقول: من وجهة النظر الإسلامية، فإن عقوبة السجن مدى الحياة التى تطبق فى الغرب هى أيضا عقوبة غير إنسانية. كما أن د. هوفمان لم يشرح أن الحدود هى الحد الأقصى للعقوبة وأن الإسلام يفتح الباب أولاً للعفو إذا تنازل صاحب الحق فى جرائم القتل والسرقة. كما يجوز

فرض عقوبات أقل يسميها الفقهاء (التعزير) وهى عقوبات أخف من الحد إذا رأى القاضى سببًا لتخفيف العقوبة.

وأما عن تقويمه للظاهرة الاستشراقية، فيتفق د. هوفمان مع د. إدوارد سعيد فى أن المستشرقين كانوا فريقين فريقًا درس الإسلام بموضوعية، وفريقًا نظر إلى الإسلام بمنظار البعثات التبشيرية مثل سير هاملتون جيب البريطانى، ومنهم من درس الإسلام بمنظار ماركسى مثل ماكسيم رودنسون الفرنسى، بينما يجرى البعض أبحاثه فى ازدراء الإسلام، ومنهم من يدعى أن الإسلام على وشك الانقراض. ويتفق أيضًا مع د. إدوارد سعيد فى أن أكثر العلماء الغربيين الذين قدموا أبحاثًا عن العالم الإسلامى كانت أبحاثهم لخدمة المصالح الاستعمارية وإخضاع العالم الإسلامى للغرب، سواء كان ذلك بوعى أو بدون وعى، وبعض المستشرقين كانوا عملاء سريين بكل معانى الكلمة.. كانوا جواسيس.. مثل: ت. إى. لورانس.

ويتفق مع د. إدوارد سعيد أيضًا فى أن عداوة الاستشراق للعرب تماثل عداوة الغرب للسامية من قبل، لكنه يرى أن هناك مستشرقين فى القرن العشرين قدموا دراسات عن العالم الإسلامى لم تعبر عن نظرة استعلاء، وصححت صورة الإسلام فى الغرب مثل الأمريكى ليوبولد فايس الذى أصبح اسمه محمد أسد، وفيتوس بوركاردت، وأحمد فون دنفر، ومارتن لنجز، وروجيه دوباسكويه، ومحمد بكتال، وبعضهم أشهر إسلامه بعد دراسته للإسلام.

ود. هوفمان يرى أن الغرب مازال محتاجًا إلى أن يفهم الإسلام ويتخلص من الصور المرسومة فى خياله من ألف ليلة، ومما ينشر ويقال من أن المسلمين قساة، ومتعصبون، ولا يمكن فهمهم كما لا يمكن توقع أفعالهم، وأنهم يمارسون الفسق وغارقون فى الشهوات.. الغرب محتاج إلى أن يدرك أن العالم الإسلامى فيه تماسك اجتماعى، والأسرة لها مكانة كبيرة، وكبار السن يحظون برعاية الأبناء، ولا يحدث فيه ما يحدث فى الغرب. لا يمارس الجنس فى الطرقات، ولا يسمح بالفن الإباحى، والعلاقات خارج الزواج نادرة، ونسبة الأولاد غير الشرعيين لا تكاد تذكر بالقياس إلى ما فى الغرب، والفتيات يحتفظن بعذريتهن حتى الزواج، ولا تجد فى العالم الإسلامى ما تجده فى الغرب من إعلانات تبادل الزوجات، ونوادى العراة، وزواج الشواذ، والسكن المختلط بين الشبان والشابات وهذا ما يفتخر به الإسلام. وعن حق.

ويشرح د. هوفمان الثراء والتنوع فى الفقه الإسلامى الذى استطاع أن يواجه القضايا والمشاكل التى لم يرد فيها نص فى القرآن والسنة بالاعتماد على مناهج علمية أسسوها مثل القياس، والإجماع، والمصالح المرسلة، والاستصحاب، والعرف، وأجمعوا على أن القرآن هو المصدر الأول للشرع، وكل ما جاء فيه قطعى الثبوت، وتليه السنة، وهى المصدر الثانى للتشريع، ومنها ما هو قطعى الثبوت من الأحاديث المتواترة، ومنها ما هو ظنى الثبوت وهى أحاديث الآحاد، كما قسّموا القرآن والسنة إلى ما هو قطعى الدلالة؛ أى واضح وقاطع المعنى وصريح، ومنها ما هو ظنى الدلالة؛ أى يحتمل التأويل

وقائم على الظن، وأجمعوا أيضًا على أن الأصل فى الأشياء الإباحة فيما لا يرد نص قطعى بتحريمه، ووضعوا قاعدة: فى حالة الشك:دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

كما يشرح د. هوفمان تدرج الأحكام فى الشريعة الإسلامية. الفرض ما جاء به أمر بالفعل وعقاب على عدم فعله وإثم من لا يؤديه. والمندوب هو ما طلب الشرع فعله طلبًا غير لازم، يثاب فاعله ولا يعاقب الله تاركه، ويسمى أيضًا النافلة والتطوع والسنة والمستحب. والمباح هو كل ما لم يأت به أمر بالفعل أو النهى عنه. والمكروه هو ما جاء به نهى صريح ووعد بالثواب لمن يتركه وليس على من يفعله عقاب، والحرام هو ما طلب الشرع الكف عنه باللزوم، ومن يفعله فهو آثم.

ولكن بعض المسلمين يخلطون بين هذه الدرجات فيحولون المندوب إلى فرض، والمكروه إلى حرام، ولكن هذا الاتجاه الصارم يزحزح الإسلام عن الوسطية التى يتميز بها ويجعله مقصورًا على الصفوة من الزهاد وليس لعامة الناس وهم ليسوا فاسقين وليسوا متصوفين. وهناك أيضًا جماعات إسلامية تدعو إلى الزهد فى الدنيا وطلب الآخرة فقط. مع أن القرآن صريح فى الدعوة إلى العمل للدنيا والآخرة معا ولا تعارض بينهما: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١] و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] و﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وليس هناك أكثر وضوحا وقطعية فى الدلالة من الآية

﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]، وفى ذلك ما يؤكد أن المتشددين والداعين إلى قفل باب الاجتهاد، وإلى الاقتصار على ما جاء به الأقدمون لا يمثلون حقيقة الإسلام، وهم دعاة الجمود والتخلف وفكرهم وتصرفاتهم تعوق التقدم لمسايرة التطور.

ليست هذه كل أفكار الدكتور مراد هوفمان، ولكنها بعض أفكاره التى تكشف عن عقلية غربية مستنيرة لا تتحدث عن الإسلام إلا بعد دراسة كل جوانبه ومن مصادره الأصلية، ومن يقرأ المراجع التى استند إليها يوشك أن يقول عن هذا الرجل: إنه من فقهاء المسلمين(٦٩).

بقى أن نشير فى هذا المقام إلى أن هؤلاء القلة من المستشرقين الذين التزموا الموضوعية أو الذين اعتنقوا الدين الإسلامى، قد دفعوا ثمناً غالياً لقاء موضوعيتهم أو إنصافهم للإسلام والمسلمين، حيث تعرض معظمهم لمشاكل وأزمات مادية ومعنوية، وحوربوا من قبل الكنيسة الغربية. فمن الناحية المادية، نجد أن كتابات هؤلاء لم يكن يروج لها مثل كتابات غيرهم من المستشرقين التى امتلأت بالطعن والحقد والافتراء على الإسلام والمسلمين، ومثال ذلك ما حدث للمستشرق يوهان ج. رايكه؛ أول مستشرق ألمانى وإليه يرجع الفضل فى إيجاد مكان بارز للدراسات العربية فى ألمانيا ولكن عصره ومعاصريه تجاهلوه، وحاربه رجال اللاهوت متهمين إياه بالزندقة بسبب موقفه الإيجابى من الإسلام. فقد رفض وصف النبى محمد (ﷺ) بالكذب أو التضليل، كما رفض وصف الدين الإسلامى بأنه خرافات

مضحكة، وقد جر عليه ذلك ويلات كثيرة وعاش طول حياته فى ضائقة مالية ومات بائسًا مسلولاً وهو فى الثامنة والخمسين من عمره(٧٠). ولعلنا نذكر فى هذا الخصوص ما حدث للمستشرق الفرنسى رجاء جارودى الذى اعتنق الإسلام فقد ظل هذا الرجل نحو نصف قرن تتهافت دور النشر على إصدار كتبه ونشرها فلما ألف كتابه «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» الذى دافع فيه عن الحقوق التاريخية للعرب والمسلمين فى فلسفة ورد مزاعم اليهود، عندئذ لم يجد ناشرًا له فى الغرب، ونشر هذا الكتاب على نفقته، فضلاً عما لاقاه من عنت مادى ومعنوى شديد لدرجة أنه قدم للمحاكمة فى ١٩٩٨/٢/٢٧م. وقد أصدرت محكمة باريس حكمًا عليه بدفع غرامة قدرها ١٢٠ ألف فرنك لاتهامه بالتشكيك فى المحرقة التى اعتبرتها المحكمة جرائم ضد الإنسانية(٧١).

وعلى الصعيد المعنوى، كثيرًا ما تعرض المستشرقون المنصفون للإسلام والمسلمين للتجاهل والغمز واللمز من جانب الكنيسة الغربية، إلى جانب أن جموع المستشرقين تتصدى لكل من يحاول أن يلتزم الموضوعية، فإذا حاول أحدهم أن يبدو محايدًا يهبون فى وجهه ويطالبونه بأن يكون منحازا للمسيحية الغربية ومناهضًا للإسلام والمسلمين. ومن أمثلة ذلك، حين ألف المستشرق الفرنسى كاستريز كتاب «الإسلام» الذى صدر فى باريس عام ١٨٩٦م وكان فيه شيء من الإنصاف للإسلام والنبى (ﷺ) انتقده كل من دينيه باسيه، وكارادى فو، وعلق عليه المستشرق الألمانى بفان موللر، فى كتابه «موجز فى أدب علوم الإسلام» الذى أكد فيه أن رأى كاستريز



فى «محمد»، قاصدا الرسول (ﷺ) إيجابى أكثر مما ينبغى، كما أنه يرى فى القرآن أيضًا من البداية حتى النهاية عملاً فريدًا ورائعًا، ومن ثم فموللر يرى أن آراء كاستريز تلك عن الإسلام لا تعدو أن تكون مجرد انطباعات وليست دراسة علمية. كذلك ما حدث مع المستشرق بولان فيلييه فى كتابه «حياة محمد»، الذى مجد فيه الإسلام ومدح النبى (ﷺ)، حيث هاجت الدنيا من حوله واتهم بالعداء للكنيسة وعدم الموضوعية ووصف المستشرق جانييه ما كتبه بولان فيلييه بأنه خواطر مضحكة أبعد ما تكون عن المنطق المقبول. ومن هنا يتبين أن حجم الكتابات العلمية الموضوعية عن الإسلام ضئيلٌ جدًّا إذا ما قورن بالغالبية العظمى من كتابات المستشرقين التى افتقدت الموضوعية وغلب عليها التعصب والهوى(٧٢).

سابعا: مستقبل الظاهرة الاستشراقية:

ثمة جدل حامى الوطيس شهدته دوائر فكرية وثقافية فى العالمين الإسلامى والغربى بشأن مستقبل الظاهرة الاستشراقية فى ظل التطورات المختلفة التى يشهدها العالم هذه الأيام على الأصعدة كافة. حيث انصرف تيار إلى الزعم بأنه لم تعد هناك جدوى للظاهرة الاستشراقية فى ظل العولمة وثورة المعلومات وانتهاء الظاهرة الاستعمارية بمفهومها التقليدى. بينما يذهب تيار آخر إلى الادعاء بأن الحاجة إلى الاستشراق تظل قائمة، بل وملحة على الرغم من كل هذه التطورات، فى حين يتجه تيار ثالث إلى القول بأن بقاء الاستشراق من عدمه يظل مرتهنًا بقدرته على التكيف مع المعطيات الجديدة والتطورات



التى ألمت بالعالم، لاسيما وأن دوافع وأهداف الاستشراق لم تنته جميعها، فلا زال هناك بعضها قائمًا، غير أن الاختلاف الذى سيطرأ سوف يمس أدوات ووسائل المستشرقين فى تحقيق تلك الأهداف.

من هنا، يمكن القول إن الاستشراق قد بدأ وتطور ولكنه لم ينته، حسبما يدعى البعض بأن الاستشراق قد اقترب من النهاية أو أنه فى طريقه إلى الزوال، وإنما هو يتطور ويغير من جلدته وأدواته ومسمياته حتى يتخلص من الشوائب التى تعلق بأغراضه. ويؤكد هذا القول مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى باريس عام ١٩٧٣م، والذى دار خلاله نقاش بين المستشرقين حول هذا الأمر، حيث دعا المؤتمرون إلى إضفاء بعض المسميات الجديدة على الظاهرة الاستشراقية ومن يعملون بها، كأن يطلق على علم الاستشراق، علم دراسة شئون العرب والمسلمين، وأن يطلق على المستشرق مثلا، لقب الباحث فى الشئون العربية والإسلامية، وبدلاً من أن يقال مؤتمر المستشرقين مثلاً، يقال المؤتمر العالمى للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال إفريقيا. ولقد كتب برنارد لويس مقاله بعنوان «مسألة الاستشراق» يتناول فيها ما توصل إليه المستشرقون فى مؤتمرهم بباريس عام ١٩٧٣، أشار فيها إلى أن كلمة مستشرق أصبحت منذ ذلك التوقيت ملوثة هى الأخرى أيضًا وليس هناك أمل فى الخلاص، ولكن الضرر هنا أقل؛ لأن الكلمة كانت قد فقدت قيمتها، وحتى أولئك الذين تدل عليهم تخلوا عنها وكانت مناسبة جيدة لإعادة النظر فى طبيعة المؤتمر ووظائفهم، ثم سرعان ما تبين أنهم متفقون جميعًا على ضرورة التخلى عن هذه التسمية «تسمية الاستشراق»(٧٣).



وقد ناقش الدكتور أكرم ضياء العمرى هذه المسألة فى محاضرة له بعنوان «الاستشراق . . هل استنفد أغراضه؟»، وكانت ردًا على من يقول بأن الاستشراق فى طريقه إلى الانقراض وقد خلص الدكتور العمرى إلى أن الاستشراق لم يستنفد أغراضه بعد فهو ما زال قائمًا، ومازالت مئات الدوريات تصدر عنه، ومازالت المطابع تدفع إلى الأسواق مئات أو ألوف الكتب كل عام من تأليف الباحثين الغربيين. من هنا يتبين أن الاستشراق يحاول الهروب من هذه التسمية إلى مسميات أخرى إما لتضليل المسلمين، وإما كاعتراف مباشر بأخطاء المرحلة السابقة من تاريخه والرغبة فى دخول مرحلة جديدة يتخلص فيها المستشرقون من سلبيات الماضى. وبهذا، فإن الاستشراق - وإن غير من اسمه أو أسلوبه أو منهجه - فلا يعنى هذا أنه انتهى، ولكنه موجود وسيظل موجودًا، ولا تزال مؤتمرات المستشرقين تعقد وكان آخرها مؤتمرهم فى بودابست بالمجر عام ١٩٩٨، ثم مؤتمرهم فى مونتريال بكندا عام ٢٠٠٠م. وسيظلون يعقدون المؤتمرات وسيظل نشاطهم موجودًا ولن ينقطع وسيظل الاستشراق موجودًا ولن ينتهى مادامت هناك حاجة غربية ماسة للتعرف على الشرق وتطويعه لخدمة أهداف الغرب ومصالحه(٧٤).

وفى الستينيات من القرن المنصرم، دعا المستشرق الغربى مارشال هودغسون الى إعادة النظر فى رؤية الغرب للإسلام المعاصر على ضوء مناهج علمية تقدم قراءات جديدة متعددة المقاصد، ومن خلال تقرير أصدره سنة ١٩٩٥ عرض هوغدسون مبادرة التحول من الاستشراق الى ما اعتبره مرحلة ما بعد الاستشراق، والتى يدعو



خلالها إلى إعادة تشكيل رؤية الغرب للإسلام والمسلمين عبر التحول من تكرار النقد للعرب واجترار آليات النقد الغربى للإسلام ذاتها إلى طرح النماذج البديلة فى التعامل والنماذج الواضحة فى أطرها العملية دون التفريط بمصالح الأمة العليا ودون إفراط فى الانفتاح على الآخر والتماهى معه(٧٥).

وفى هذا السياق - والذى هو أشبه بعملية مراجعة تصحيحية نقدية للظاهرة الاستشراقية في ضوء التغيرات العالمية على النحو الذى يعود بالمزيد من النفع على الغرب - ظهرت انتقادات واتهامات كثيرة موجهة إلى الاستشراق من قبل باحثين غربيين ، وإن اختلفت منطلقات هذه الانتقادات ، فمثلاً يقول أحد الساسة الألمان : «لقد آن الأوان كى يبتعد المستشرقون باهتماماتهم عن اللهجات العربية، ويعدوا أنفسهم لتقبل الدور الجديد كطاقة فاعلة فى خدمة العلوم الاجتماعية، وكاحتياطيين للقيام بمهمة الترجمة والشرح فى ميادين العمل المختلفة». والمستشرقون وإن كانوا يرفضون دورهم إلى هذا المستوى فإنهم يعترفون فى الوقت نفسه بالقصور فى جوانب مختلفة هى أيضًا مثار انتقادات عنيفة. ويجمل المستشرق الألمانى أوليريشن هارمان هذه الانتقادات فيقول:

(لقد اتهمنا بأننا متخلفون وأقل تطورًا وتقدمًا فى أساليبنا ، لا ننفعل حيال التحديات الجديدة. واتهمنا كذلك بأننا وصفيون نقليون ولسنا تحليليين ، وإذا كنا نقدر أنفسنا حق التقدير ، فما علينا سوى الاعتراف بأن هذا النقد صحيح إلى حد بعيد)(٧٦).



أما من وجهة النظر الإسلامية، فإن أهم ما يؤخذ على الاستشراق، هو تمسك المستشرقين بالأساليب الاستشراقية البالية فى فهم الإسلام وتناوله، والروح العدائية التى تحملها دراساتهم حول الإسلام، تلك الروح التى لا تزال مسيطرة على غالبية علماء الإسلاميات من المستشرقين، وهذه الروح العدائية هى العقبة الكأداء التى تجعل العربى المسلم يقف من الاستشراق موقف الحذر المتشكك، بل موقف الرافض للاستشراق. وهو الموقف الذى لاسبيل إلى تغييره إلا بإقدام المستشرقين على تطوير أساليبهم البالية فى دراسة الإسلام والالتزام بالحيدة والموضوعية والنزاهة العلمية . وتحريًا للموضوعية، تجدر الإشارة إلى أن هناك بعض المؤشرات نحو الاقتراب من الاعتدال والاتزان فى معالجة بعض المسائل الإسلامية لدى بعض المستشرقين المعاصرين من أمثال : مكسيم رودنسون، وجاك بيرك، وأنا مارى شيمل، على سبيل المثال لا الحصر، وهو اتجاه يلقى تقديرًا على الجانب العربى الإسلامى الذى لا يكف عن المطالبة بأن يصبح فى النهاية تيارًا عامًّا، بحيث يسهم فى دعم روح التفاهم والحوار بين الشرق والغرب ويضع نهاية للروح العدائية التى سادت العلاقات بينهما قرونًا عديدة.

أما الحديث عن قرب نهاية الاستشراق فيصعب القول بأن مثل هذه النهاية وشيكة الحدوث. فالمسألة ليست بهذه البساطة، ولا يمكن الزعم بأن الحركة الاستشراقية بدأت تنحسر وأنها تعيش آخر أيامها. فالحركة لا تزال متماسكة وقوية ومنظمة، ولا تزال جمعيات المستشرقين ومؤتمراتهم المختلفة تمارس نشاطها، ومعاهد الاستشراق منتشرة اليوم فى أغلب الجامعات الأوروبية والأمريكية. هذا فضلاً

عن تغلغل المصالح الغربية فى بلدان العالم الإسلامى ، وخاصة فى بلاد الشرق الأوسط، الأمر الذى يدفع الدول والحكومات الغربية باتجاه دعم ومساندة الحركة الاستشراقية التى تقدم بدورها للجهات المعنية فى الغرب الدراسات المختلفة عن بلدان العالم الإسلامى. وبالإضافة إلى ذلك كله، فإن مجالات التخصص لدى المستشرقين قد تعددت وهذا يعنى إثراء الدراسات الاستشراقية لا القضاء عليها.

ولكن الشىء المهدد بالزوال ـ كما يرى مكسيم رودنسون ـ هو سيطرة الدراسات الفيلولوجية المعروفة بـ(فقه اللغة). فقد كان هناك اتجاه سائد فى الحركة الاستشراقية لفترة تزيد على قرن من الزمان يركز على التدريب الفيلولوجى بوصفه كافيًا لحل جميع المشاكل الناشئة ضمن ميدان لغوى محدد. وهناك دلائل تشير إلى التخلى عن هذا الاعتقاد، وذلك نظرًا للزيادة الكبيرة فى المعلومات المتوافرة، بالإضافة إلى تعدد أدوات البحث وتقدم طرق الدراسة، الأمر الذى أصبح يمكن الباحث من تجاوز المرحلة الفيلولوجية، أو على الأقل يخصص لها وقتًا أقل من ذى قبل. فقد كشف التقدم فى العلوم الاجتماعية (عن مدى تعقيد المشاكل التى لا يمكن حلها بالالتجاء إلى الفهم العادى السليم وحده، وبالمعرفة العميقة باللغة، بل ربما أيضًا لا يمكن حلها عن طريق استلهام مبادئ فلسفية عامة). لذا فقد أصبحت الدراسات الشرقية وبصورة خاصة الدراسات الإسلامية أكثر صعوبة وأقل خصوصية، وأصبح الربط بينها وبين العلوم الأخرى – والذى كان ترفًا فيما مضى – حاجة لا مفر منها الآن(٧٧).



ويعنى رودنسون بالعلوم الأخرى هنا، علوم الاجتماع والسياسة والاقتصاد والأنثربولوجيا والسكان إلخ. ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام أنه قد عقدت ندوة عن علم الاجتماع الإسلامى فى بروكسل عام ١٩٦١م. وهذا أمر يبين لنا بداية انفتاح مجالات جديدة أمام الدراسات الاستشراقية كانت مهملة تماماً فى السابق. وهكذا يمكن القول بأن انحسار المد الاستعمارى العسكرى عن العالم الإسلامى لا يعنى بالتالى القضاء على الحركة الاستشراقية. فالاستعمار العسكرى كان مرحلة ارتبطت بها من غير شك جهود طائفة من المستشرقين. ولكن هناك طائفة أخرى لم ترتبط بالاستعمار، ولا يعنى ذلك بالضرورة أنها كانت منصفة للإسلام والمسلمين.

وقد عاش الاستشراق عصر ازدهاره فى النصف الثانى من القرن الماضى، والنصف الأول من القرن العشرين، وشهدت تلك الفترة جيل العمالقة من المستشرقين. وقد ظهرت الآن أجيال جديدة تسير على الدرب نفسه وتترسم خطى السابقين.

ومن جانبها، لا تزال الحكومات الأوروبية تهتم بدعم الحركة الاستشراقية فى أوروبا، ولا تبخل عليها بالمال اللازم لاستمرار نشاطها. وفى هذا الصدد يقول رودى بارت :

«الاستشراق فى ألمانيا حالياً وفى العالم الأوروبى الحديث كله مادة علمية معترف بها من الجميع . . نعترف شاكرين بأن المجتمع ممثلاً فى الحكومات والمجالس النيابية يضع تحت تصرفنا الإمكانات اللازمة لإجراء بحوث الاستشراق وللحفاظ على نشاطنا التعليمى فى هذا المضمار . . وما تطلبه الدولة والمجتمع منا ـ معشر المستشرقين ـ هو بصفة

عامة العمل كمدرسين وباحثين متخصصين.. أما التصرف فى أمر الموضوعات الخاصة التى ينصب عليها الدرس والبحث فمتروك لنا»(٧٨). وعلى صعيد آخر، هناك مستشرق آخر يعترف بأن مقدمى الدعم المالى يمارسون ضغوطاً على الاستشراق، الأمر الذى يتناقض مع ما يقوله بارت، من أن الحكومات التى تقدم الدعم لا تتدخل فى أمر البحوث الاستشراقية. حيث يقول أوليريش هارمان : «وطبعاً هناك أيضاً الضغط الملح من قبل أولئك الذين يقدمون الأموال لدعم النتائج التى تؤدى إلى احتواء العالم العربى الإسلامى والتشبث به، باعتباره منطقة اضطراب، حيث تكمن اهتمامات الغرب ومصالحه»(٧٩).

هناك إذن ارتباط وثيق بين مصالح الغرب واهتماماته ودعم الحركة الاستشراقية. وهذا أمر يجعل استمرار الاستشراق متوقفاً على استمرار الدعم المالى الذى تقدمه الحكومات والهيئات المختلفة، واستمرار الدعم المالى يتوقف بدوره على مدى تشبث الغرب بمصالحه فى العالم العربى والإسلامى ومدى ثقة حكوماته فى الدور الذى يمكن أن يقوم به الاستشراق والمستشرقون فى تعزيز وصيانة وتعظيم تلك المصالح. والتشبث بهذه المصالح حقيقة واقعة تؤكدها جميع الشواهد، وليست هناك أى بارقة تلوح فى الأفق توحى بأن الغرب على استعداد للتخلى عن هذه المصالح. وما دام الأمر كذلك، فإن الحاجة إلى الاستشراق فى الغرب ستظل قائمة، بل وستزداد إلحاحاً. وسيحرص الغرب على تسخير كافة مظاهر التطور المتاحة من أجل تفعيل دور الاستشراق والارتقاء بمستواه على النحو الذى يحقق غاياته ويبقى له مصالحه فى العالم العربى الإسلامى(٨٠).



خاتمة

يبدو من خلال هذا الاستعراض المتواضع والمقتضب للظاهرة الاستشراقية أنها لم تكن كلها وبالا على الإسلام والمسلمين وعلاقاتهم مع العالم الغربى، كما لم تكن برمتها إيجابية فى ذات التوجه. وإن كان الاتجاه العام لتحليل آراء وكتابات غالبية المستشرقين يشير إلى أن التداعيات السلبية للاستشراق تفوق فى وطأتها أية مردودات إيجابية قد تنجم عن هذه الظاهرة.

ولما كانت قضية التفاهم بين الأمة الإسلامية والشعوب الغربية وإقامة علاقات ودية بينهما لخدمة مصالح كل من الجانبين قد أصبحت من القضايا الملحة فى عصرنا الراهن الذى تشابكت فيه المصالح وتعددت أوجه اعتماد كل جانب على الآخر، فإن الحاجة تبدو ملحة للمسلمين والعالم الغربى للتشبث بحوار الحضارات ولقاء الثقافات والأديان، فمن خلال تلك الآليات يمكن للجانبين أن يعيدا التعارف على أسس موضوعية تساعد على تصحيح الأفكار والصور الذهنية المشوهة التى ابتدعها المستشرقون المغرضون، والتى شكلت حائلاً وحائطًا منيعًا ظل يباعد بين الشرق والغرب طيلة عقود.

ولعل السبيل الأمثل والأكثر فاعلية للوصول إلى تلك الغاية التى أضحت ضرورة ملحة فى عالم اليوم يتمثل فى شروع مؤسسات الاستشراق الغربية والعالمية فى عملية مراجعة شاملة لآراء المستشرقين السابقة حيال الإسلام والمسلمين، والتى كان لها بالغ الأثر فى إذكاء

سوء الفهم المتبادل بين العالمين الغربى والإسلامى، وقد اعترف بعض الكتاب الغربيين المعتدلين بتحمل الغرب الجانب الأكبر من سوء الفهم هذا. وفى ذلك يقول الباحث الغربى إميل دير مانجيم: «حين اشتعلت الحرب بين الإسلام والنصرانية ودامت عدة قرون اشتد النفور بين الفريقين، وأساء كل منهما فهم الآخر، ولكن يجب الاعتراف بأن إساءة الفهم كانت من جانب الغربيين أكثر مما كانت من جانب الشرقيين. ففى الواقع أنه على أثر تلك المعارك العقلية العنيفة التى أرهق فيها الجدليون البيزنطيون الإسلام بمساوئ واحتقارات دون أن يتعبوا أنفسهم فى دراستهم - هب الكتاب والشعراء المرتزقة من الغربيين وأخذوا يهاجمون العرب، فلم تكن مهاجمتهم إيَّاهم إلا تهمًا باطلة بل متناقضة».

وهكذا، يمكن القول إن مراجعة موضوعية وجادة لإرث الاستشراق الفكرى حيال العرب والمسلمين، لهى البداية الحقيقية لحوار هادف وبناء بين المسلمين والغرب، من شأنه أن يمهد السبيل لتعايش سلمى وتعاونى بين الجانبين مستقبلا بعد طى صفحات الماضى المفعم بالصراعات والمثقل بسوء الفهم المتبادل.



أهم المصادر

١- المعجم الوسيط، ط ١، ص ٤٨٢.

٢- د. أحمد أبو زيد، الاستشراق والمستشرقون، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثانى، سنة ١٩٧٩م.

٣- د. أحمد إبراهيم الفيومى، صورة العالم الإسلامى فى أوروبا، ص٤٧ نقلاً عن، الاستشراق.. رسالة استعمار، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٣)، ص ١٤٥.

٤- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربى، ص ٥١٢، نقلاً عن: د. أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٨)، ص ٢٧.

٥- محمد يحيى، الاستشراق وعلاقته بأساليب الغزو الأخرى، (القاهرة: مكتبة الأفراد، ٢٠٠٢)، ص ١٦.

٦- د/ أحمد شلبى، الاستشراق. تاريخه وأهدافه (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٣) ص ١٥-١٧.

٧- د. على حسن الخربوطلى، الاستشراق فى التاريخ الإسلامى (القاهرة: جمعية الدراسات الإسلامية، ١٩٧٦م)، ص ٢٠.

٨- د/ محمد عمر حسن، الاستشراق والتبشير النصرانى (القاهرة:دار الطباعة المحمدية، ١٩٩٦م)، ص ٦.



٩- د. إسماعيل على محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، (القاهرة: دار الحكمة للنشر، ١٩٩٨م)، ص ١٧، ١٨.

١٠- رودى بارت، الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية، ترجمة د/مصطفى طاهر، (القاهرة: دار الكاتب العربى، ١٩٦٧م).

١١- د. عبد المنعم النمر، الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستغراب، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٣) ص ١٤٧.

١٢- د. أحمد شلبى، الاستشراق تاريخه وأهدافه، (القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٩٢م).

١٣- المرجع السابق، ص ٢٠.

١٤- الاستشراق، النشأة والدوافع، مجلة الاجتهاد، ص ٨٩، عدد ٩٨ لعام ١٤٠٠هـ.

١٥- د. محمود حمدى زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٧م) ص ٢٨.

١٦- المرجع السابق.

١٧- د. محمد البهى، الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩١) ص ٢٩.

١٨ - د. حمدى زقزوق، الاستشراق. مرجع سابق، ص ٣١.

١٩- د. على حسن الخربوطلى، الاستشراق فى التاريخ الإسلامى، مرجع سابق، ص ٣٠، ٣١. ٢٠- رودى بارت،



الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية، ترجمة د/ مصطفى طاهر، مرجع سبق ذكره.

٢١- برنادر لويس، مسألة الاستشراق، إعداد هاشم صالح، (لندن: دار الساخر، عام ١٩٩٤م). ص ١٥٩- ١٨٠.

٢٢- د. أكرم ضياء العمرى، موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية، (الرياض: مركز الدراسات والإعلام، ١٩٩٨م).

٢٣- د. فاروق عمر فوزى، الاستشراق فى التاريخ الإسلامى، (القاهرة: الأهلية للنشر، ١٩٩٨)، ص ٣٢.

٢٤- د. سالم الحاج ، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، (القاهرة: مركز دراسات العالم الإسلامى، ١٩٩١).

٢٥- د. عبد الحميد مدكور، نظرات فى حركة الاستشراق، (القاهرة: دار الثقافة العربية، ١٩٩٠).

٢٦- د/ محمد السيد الجليند، الاستشراق والتبشير (القاهرة: دار قباء، ١٩٩٩م) ص ١٦.

٢٧- د/ حسين الهراوى، المستشرقون والإسلام، (القاهرة: مطبعة المنار، ١٩٣٦)، ص١٥.

٢٨- د/ أنور الجندى، الإسلام فى وجه التغريب ص ٢٦٥، ٢٦٦، (القاهرة : دار الاعتصام، ١٩٨٧)، ص٢٦٥-٢٦٦.

٢٩- د/ حمدى زقزوق، الاستشراق، م.س.ذ، ص ٢٨.

٣٠- إدوارد سعيد، الاستشراق.. المعرفة.. السلطة.. الإنشاء (بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية، ٢٠٠١).

٣١- كان هذا عام ١٩٠٨م، وهو العام الذى تأسست فيه الجامعة المصرية، ولقد ازداد قدوم المستشرقين للتدريس للجامعة من عام (١٩١٧- ١٩٣٦م)وهى الفترة التى تولى فيها الملك فؤاد عرش مصر وعضد فكرة الاستعانة بالمستشرقين للتدريس بالجامعة المصرية. (مجلة الثقافة العالمية ص١٢. عام ١٩٨٨م عدد ٣٨، دراسة بعنوان (جامعة القاهرة والمستشرقون) بقلم دونالد مالكولم رايد ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم. الناشر المجلس الوطنى للثقافة والفنون. الكويت.

٣٢- دونالد مالكولم رايد، جامعة القاهرة والمستشرقون، ترجمة صلاح الدين هاشم، مجلة الثقافة العالمية، عدد ٣٨، عام ١٩٨٨م، ص ١٤.

٣٣- السابق ص ١٧- ١٩.

٣٤- مازن بن صلاح مطبقانى، التآمر ضد الاستشراق بعد أيلول ٢٠٠١م، جريدة الحياة، تاريخ ٢٠٠٤/٦/١٢م. عدد ١٥٠٥١.

٣٥- د/ أنور الجندى، الإسلام فى وجه التغريب، م.س.ذ، ص ٢٦٨.

٣٦- د/ سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية، م.س.ذ، ص ٨٧.

٣٧- على يوسف نور الدين، الاستشراق والاستغراب قراءة نقدية، مجلة شئون الأوسط، عدد ١٠٨، عام ٢٠٠٢.



٣٨- د. حمدى زقزوق ، الاستشراق . م . س . ذ ، ص ٣٣ .

٣٩ - د/ أحمد الشيخ، حوار الاستشراق ، (القاهرة: المركز العربى للدراسات الغربية، ١٩٩٩م).

٤٠- رودى بارت ، الدراسات العربية ، م . س . ذ ، ص ١٧ .

٤١- د/ محمد البهى ، الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩١م) ص ٤٥٣ ، ٤٥٥ .

٤٢- د/ إبراهيم خليل أحمد، الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية. (القاهرة: مكتبة الوعى العربى، ١٩٧٤م) ص ٥٥.

٤٣- د/ محمد البهى ، الفكر الإسلامى الحديث ، م . س . ذ ، ص ٤٣٣ .

٤٤- المصدر السابق .

٤٥- د/ إبراهيم خليل أحمد ، م . س . ذ ، ٧٢-٧٣ .

٤٦- الفكر الإسلامى الحديث د/ محمد البهى ص ٤٥٢ .

٤٧- أحمد عبد الهادى ، مدخل لدراسة الاستشراق والتنصير ، (القاهرة: كلية أصول الدين والدعوة ، جامعة الأزهر ، ٢٠٠١) ، ص ٤٢ .

٤٨- د/ إبراهيم مدكور ، مؤتمر المستشرقين فى دور انعقاده الثامن والعشرين، مجلة الفكر المعاصر ، عدد ٧٧، يوليو ١٩٧١م ، ص ١٠ .

٤٩- المصدر السابق .

٥٠- د. محمد البهى، الفكر الإسلامى، م.س.ذ، ص٥٤٦.

٥١- د/ عمر الخطيب، لمحات فى الثقافة الإسلامية، ط٣. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩) ص ٢٠٧.

٥٢- المصدر السابق.

٥٣- ا.ل شاتليه ترجمة محب الدين الخطيب، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٥٠هجرية) ص ٨٧.

٥٤- المصدر السابق.

٥٥- د. إبراهيم خليل، الاستشراق والتبشير، م.س.ذ.

٥٦- مطبقانى، جريدة الحياة، م.س.ذ.

٥٧- د.إبراهيم خليل أحمد، الاستشراق والتبشير، م.س.ذ.

٥٨- المصدر السابق.

٥٩- محمد البهى، م.س.ذ، ص٤٥٥ -٤٦٦.

٦٠- المصدر السابق.

٦١- د/ محمود زقزوق، م.س.ذ.

٦٢- المصدر السابق.

٦٣- مراد هوفمان، فى حوار لإسلام أون لاين، نشر بتاريخ ١٤-١-٢٠٠٤.

٦٤- المصدر السابق.

٦٥- موقع إسلام أون لاين نت ١٤-١-٢٠٠٤.

٦٦- للمزيد يمكن الرجوع إلى كتب هوفمان المترجمة مثل: «الإسلام كبديل» و«يوميات ألمانى مسلم» و«الإسلام فى الألفية الثالثة» و«رحلتى إلى مكة»، و«خواء الذات والأدمغة المستعمرة».

٦٧- المصدر السابق.

٦٨- رجب البنا، مجلة أكتوبر، ٢ / ٤ / ٢٠٠٥.

٦٩- المصدر السابق.

٧٠- عاشقة النبيو د. خالدشوكت، أنا مارى شمل الألمانية، موقع إسلام أون لاين نت.

٧١- د/ حمدى زقزوق، م. س. ذ، ص ص٣٦-٣٧.

٧٢- ا. ل شاتليه، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، م. س. ذ، ص٤٩.

٧٣- د/ حمدى زقزوق، الإسلام فى تصورات الغرب، (القاهرة: دار وهبة، ١٩٨٧)، ص ص٥٥ - ٥٦.

٧٤- د/ آمنة نصير، قراءة علمية من أوراق الاستشراق والتبشير، محاضرات ألقيت على طالبات الدراسات العليا بكلية الدراسات العربية والإسلامية، جامعة الأزهر بالإسكندرية، ١٩٩٩).

٧٥- المصدر السابق.

٧٦- عبد الرازق الربيعى، جريدة الزمان ١١-١١-٢٠٠٤.

٧٧-إدوارد سعيد، الاستشراق، م. س. ذ.

٧٨- المصدر السابق.

٧٩- رودى بارت، م. س. ذ.

٨٠- المصدر السابق.

الفهرست

الموسوعة السياسية للشباب

العنوان	المؤلف
١- الخصخصة.	د. أحمد جمال الدين موسى.
٢- الدساتير المصرية من عهد «محمد على» إلى عهد «مبارك».	د. سيد عيسى محمد.
٣- الأيديولوجيا.	د. عمار على حسن.
٤- المواطنة.	د. عصام صيام.
٥- الأصولية.	د. عمرو الشوبكى.
٦- الانتشار النووى أخطر مفاهيم العلاقات الدولية.	د. محمد عبد السلام.
٧- حوار الحضارات.	د. وليد محمود عبد الناصر.
٨- الهجرة غير الشرعية.	د. سعيد اللاوندى.
٩- الليبرالية.	د. ياسر قنصوه.
١٠- التدخل الدولى.	د. عماد جاد.
١١- الإعلام وصناعة العقول (التليفزيون نموذجًا).	د. نسمة البطريق.
١٢- الدعاية الانتخابية.	د. صفوت العالم.
١٣- العنصرية وصدام الحضارات.	د. أسامة نبيل. صبرى سعيد
١٤- العلمانية والفرانكفونية.	د. أسامة نبيل. د. سامى مندور.
١٥- الرأى العام.	صبحى عسيلة.
١٦- أسلحة الدمار الشامل.	محمد عثمان.
١٧- التحديث.	عزمى عاشور.
١٨- المجتمع المدنى والدولة.	د. محمد عثمان الخشت.
١٩- الحكم الرشيد.	سامح فوزى.
٢٠- الخصوصية الثقافية.	بشير عبد الفتاح.
٢١- الديمقراطية.	صبرى سعيد.
٢٢- الاستشراق.	سهام ربيع عبد الله.



الموسوعة السياسية للشباب

الاستشـــراق

- انطلاقًا من شعلة التنوير التى تحملها «نهضة مصر للطباعة والنشر» منذ تأسست عام 1938، تصدر هذه السلسلة التثقيفية ضمن الموسوعة السياسية للشباب؛ لتلقى أضواء كثيفة على المفاهيم والمصطلحات والقضايا التى يصادفها الشباب فى حياتهم اليومية، أو تقع تحت أعينهم فى الصحف وعبر الإذاعات والفضائيات.

- تهدف هذه الموسوعة إلى تزويد الشباب بمعلومات ومعارف دقيقة وسهلة ومبسطة؛ كى تكون عونًا لهم فى «فهم» ما يدور حولهم من أحداث، وتعريفهم بما ينبغى عليهم عمله تجاه أنفسهم و«أوطانهم» وتجاه الآخرين.

- يعد الاستشراق جزءًا لا يتجزأ من قضية الصراع الحضارى بين العالمين الإسلامى والغربى؛ لما له من تأثير قوى على مواقف الغرب إزاء العرب والمسلمين، لهذا يعرض هذا الكتاب لمفهوم الاستشراق، من حيث النشأة والتطور والدوافع والأهداف، وأدوات ووسائل المستشرقين واتجاهاتهم.

- تشمل الأعداد التالية تعريفات لمفاهيم وقضايا أخرى مثل: [illegible] العام، والديمقراطية، والعنصرية، والأصولية، والعلمانية [illegible] والحكم الرشيد، والخصوصية الثقافية، وصدام الحضـ[illegible] النووى، وأسلحة الدمار الشامل، والإعلام وصناعة العقو[illegible] الشرعية، والليبرالية، والاستشراق، والخصخصة، والتـ[illegible] الدولى، والأيديولوجيا.. وغيرها.






6 221133 333023